



عبد الحميد السحار

كشكس الموسيقى

مطبعة خان مكتبة مصر

كشك الموسيقى

تأليف

عبد الحميد مبرور السجاء

الناشر:

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - القاهرة

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وطركلا

صفحة

كان الرجل ينظر الى المروج الخضراء من نافذة قطار الشرق وهو شارد ، كان غارقا في تفكير عميق . انه منذ يومين وهو منطلق الى الغرب لا يشغل رأسه الا موضوع واحد . . موضوع الاسلحة التي سيمرضها على وزير الحربية في الامبراطورية التي يقصدها . انه يتمجل الزمن فالقطار يقطع المسافة بين مقر شركته والبلد الذي يقصده في ثلاثة ايام ، فما كان الطيران قد عرف بعد .

انه لم ير الوزير بعد . ولكن شركته قدمت اليه صورته وبعض معلومات طفيفة لا تخدم من يقدم على صفقة كبيرة قد ترفع شركته الى مصاف الشركات الكبرى ، بل وتجعلها اكبر شركة تعمل في توريد اسلحة الدمار .

ان الشركة نجحت في ان تحصل على سر خطير . . سر تاهب الامبراطورية للمهجوم على الدول المحيطة بها ، وقد نجحت في ان تتصل بوزير الحربية وان تحدد ميعادا لاستقبال مندوبيها للتفاوض على اتمام صفقة كبيرة تحقق اهداف الامبراطورية واهداف الشركة واهداف الجميع .

ومضت على سطح ذهنه أحداث ذلك الاجتماع السري الذي

وبرك القصة على المكتب ونهض مستأذنا واتصرف ، وما أن
عاد الى غرفته بالفندق حتى تملكه خوف شديد . . انه تسرع بتقديم
القصة . . ترى ماذا يكون مآله اذا رفض صاحب السعادة الرشوة
وثار لكرامته واصدر امرا بالقبض عليه ؟ سيتلقى به في السجن
وسيحامم بتهمة رشوة موظف عمومي ، موظف عمومي ؟ ! انها
رشوة وزير واى وزير ؟ وزير الحربية ؟ !

وتضخمت مخاومة فالى نفسه يسير بين جنديين ومن خلفه
جندى مدججين بالسلاح . انه رأى هؤلاء الجنود الغلاظ فى ممرات
الوزارة وهو فى طريقته الى مكتب صاحب السعادة . وقفز خياله
الى بيته . . انه ترك ابنته وخطيبها على امل أن يكون الزفاف بعد
عודقة . ترى ايفسخ الشاب خطبته من ابنة اذا ما بلغه انه قد
قبض عليه وسجن ؟ انه سيفسخها من غير شك ليدرا عن نفسه
فضيحة زواجة من ابنة سجين . ولكن الشاب يحبها . . يحبها
حقا ، انه لن يفسخ خطبته . . لا . . بل سيفسخها فالحب وحده
لا يقيم أسرة ، والسنة الناس قادرة على تقويض أى بيت يهب عليه
أعصار الريبة . الريبة ؟ انها ليست ريبة . . انه اليقين .

وزوجتى ؟ يا للمسكينة ! كيف ستميش بين الناس بعسد
الفضيحة ؟ سينبذها المجتمع . . سير منى الناس لانها زوجة
سجين . أنا وحذى الذى أخطأت . الناس كلهم خطاؤون . ذنبى
أن خطئى كشف عنه الغطاء . . اما أخطاؤهم فلا تزال مستورة ،
والويل لمن يفتضح أمره بين الخطائين .

وارتمى على السرير وهو يصيح فى حق :

— قساة . . قساة . . غلاظ القلوب .

ومدد ملابسه على الفراش وحاول أن يطرد عن رأسه تلك

أفكار السخود ، ولكن الخواطر راحت تقوِّد على ذهنه نوافد
الموج . أنه راح يذكر في شركته بعد أن افتضح أمره . . . إن مجلس
الإدارة الذي اجتمع قبل سمره وفوضه في فعل كل شيء وأى شيء
ليحصل على الصفقة قد اجتمع وقرر فصله وأرسل كتابا إلى
سماعة الورثير يعتذر فيه عما ارتكب مندوبا من حماقة وتهور ،
ويبدى شديدا أسفه على المعاملة الشنعاء التي نال مرثكبها بما يستحقه
من عقاب .

وهب من رقدته مذعورا وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهوبا وهو
يترقب ، يلتفت بين لحظة وأخرى ناحية الباب . أنهم سيقدّمون
ليلقوا التبعض عليه . ماذا ينتظر ؟ لماذا لا يحمل حقائبه ويهرب .
ولكن ابن المفر ؟ وهو الآن ولا ريب تحت الحراسة .
وضع في جوعة لمحيح سرى فيه مسرى السم : متهور . .
مندفع .

إنها همسات مرموسة الحاقدة الذي يطمع في مركزه . . أنها
وخرائنه التي يخزها في جيبه ودناءة ، فيما لفرحته يوم يأتي نيا
القبر . عليه . . سيقول في زهو وثمالة : ألم أقل لكم ؟ ألم أحذركم ؟
كنت أكثر منكم فراسة . لو أطمعنوني لدراتم عن الشركة الفضيحة
القائلة . أنني أرجح منه عقلا وأكثر منه حنكة ، فلو كنتم أرسلتموني
لاتمام تلك الصفقة ، لما انهارت أسهم الشركة ولما أشرفت على
الافلاس .

أن مرموسة يتمنى أن يزاح من طريقه . . أنه يذكر تلك الأيام
القاسية التي دهمه فيها المرض . كان مرموسة يأتي كل يوم ليطمئن
إلى أنه لن يشفى من مرضه ولن يعود إلى عمله . . من حق كل
إنسان أن يتمنى لنفسه ما يشاء من الأمانى ولكن ليس على جثث
الأخرين وفكباتهم .

وحاجته منه التفاتة الى صورته في مرآة الغرفة ، فراع ذلك
الشحوب الذي اعقراه . انه يكاد أن ينقض من الاعياء . . الغرفة
تدور به . . انه يستشعر اختناقا . . ليت الباب يفتح ويلقون
القبض عليه ليستريح من قسوة القرب والانتظار . ولم يستطع ان
يظل منتصباً على قدميه فارتقى على الفراش يشهق في قوة ،
ويزفر انهواء وهو يرجو لو أن متاعبه تخرج مع زفيره .

وبلج الليل في النهار فساد الغرفة ظلام ، ذهب مغزوعاً بضوء
الانوار لا أيفر من الظلمات بل ليهرب من نفسه . وعاد الى الفراش
وصوب عينيه الى السقف ولم يكن يرى شيئاً ، فالأحداث التي كانت
في خاطره كانت اوضح من كل ما يراه .

ودقت ساعة الفندق معلنة انتصاف الليل وهو يتقلب كأنما
يتقلب على جبر لم يغمض له عين ، وراح الوقت يمر بطينا ثقيلا .
وبعد مدة كأنها دهر دقت الساعة الواحدة فاسدل جفنيه على
مقلتيه لعل النوم يطوف به ولكن هيهات .

ان الصور تتداخل في رأسه . . صورة ابنته وخليتها . ثم
صورته وهو يسير بين جنديين شديدين وخلفه جندي ثالث وهم
شاهرو اسلحتهم ، ثم صورة مجلس الادارة ، وصورة زوجته .
ثم صورته مرعوسه الحاقدة وهو ينفث سبوه في كل مكان .

ودقت الساعة معلنة الثانية صباحا فقام يظل من النافذة لعل
الهواء البارد يطرد ما في رأسه من أشباح ، أو لعله يتجهذ من
البرد ويستريح . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث فعاد وأرتقى يئسا
في الفراش

ونال منه الاعياء فراح الوسن يداعب جفنيه ، وسبع الساعة

تدق الثالثة في صوت خافت كأنها تأتي من أعماق سحيقة وما لبث
أن راح في سبات .

وهب من نومه مذمورا على صوت طرقات على الباب ، وفي
مثل لمح أبصر تذكر كل شيء . . انهم يأتون ليقبضوا عليه . وسار
إلى الباب يترنح لما فتحة وجد جنديا يقول في لهجة أمرة :
— صاحب السعادة الوزير يطلبك الساعة .

واخذ يجمع شتات نفسه ويقوى عزيمته . أنه قد انتهى فليس
من الحكمة أن يبدو جباناً . وارتدى ثيابه وجعل يباليغ في تأنيته ،
ثم سار وفتح الباب وانطلق ثابت الخطو يحاول أن يبدو هادئاً وإن
كانت روحه تكاد أن تفر بين جفينة رعباً .

وقاده الجندي إلى مكتب صاحب السعادة . فما أن ولج الباب
حتى ألقى الوزير متطلق الوجه وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وهو
يتقدم ليقبله في منتصف الغرفة وقد مده يده ليصافحه في ود
وترحيب .

أين مقابلة اليوم من مقابلة أمس ؟ وفي لحظة مات كل خوف
واشرقت النفس بالأمل .

وجلس الرجل في مقعد وثير وجلس صاحب السعادة أمامه
وهو يرحب به ترحيباً حاراً ثم قال :
— كانت القصة ممتعة . . أنها من أروع القصص التي قرأتها
عني حينئذ .

وقال الرجل في فرح :

— كنت على ثقة من أنها ستروق سعادتك .

وتلملم صاحب السعادة في كرسيه وقال :

— ولكن للأسف . .

نقال الرجل في خوف :

— ماذا يا صاحب السعادة ؟

— لم تكتمل متعتي .

— لماذا يا صاحب السعادة ؟

— ان هذه القصة من ثلاثة اجزاء ، ونم تعطيني الا الجزء الاول

منها ، فلما اتممت قراءته ازددت شوقا الى الجزاين الاخرين ، حقا
ان كل جزء منهما في ألف صفحة ولكنى التهم مثل هذه القصص
التهابا .

— ليسمح لى صاحب السعادة ان آتبه الليلة بالجزاين
الاخرين ؟

مقل صاحب السعادة في بساطة وود :

— اى ادعوك على الغداء يا صديقى ولتأت بالجزاين معك لآتى.
احب القراءة بعد الغداء .

ونهض الرجل وصافح صاحب السعادة وانصرف بقسامته
التصيره رهو يحس انه قد بلغ السقف ملولا . . حتى انه طأطأ
راسه ليهر من الباب .

روما ٢٠/٦/١٩٧٣

معقول

وتمسكت أظفار الكسب غير المشروع على تضد جلس خلفه
ثلاثة قضاة ، ومد كل منهم يده وجذب ملفا راح يقرؤه في أمان ،
ثم رفع أحدهم رأسه والتفت إلى كاتب الجلسة وقال وهو يدفع إليه
الملف :

— يستدعى صاحب هذا الملف لجلسة الأسبوع الأخير من
الشهر القادم . .

وساد العنيت ثانية فقد عاد القضاة إلى فحص الملفات وقد
ظهر في وجوههم الجذ والاهتمام ، وأخذ كاتب الجلسة يسجل كل
ما تتحرك به القضاة ، وارتفع صوت أحدهم فجأة قال :

— أرى سألتحى عند نظر هذا الموضوع .

فالتفت زميلاه إليه وقال أحدهم :

— لماذا ؟

وبدأ مع من حجب الاستطلاع مد يده وأخذ الملف من زميله وراح
يفحص عنه في اهتمام ، ثم قال مدا ميا :

— لا أرى تشابها بين اسمك واسمه .

فقال الأول في هدوء :

— لا توجد صلة قرابة بينى وبينه ، ولكنه كان زميلى فى الفصل .

— وهل هذا غير كاف لتتنحى ؟

— أنه لم يحصل إلا على البكالوريا ، وهو يفكر فى اقراره أنه يملك مائة وخمسين ألفا من الجنيهات .

نقال الذى كان يقلب صفحات الملف :

— ولم يذكر من أين جاءته هذه الثروة .
نقال فالثم :

— لعله ورثها أو ورث بعضها ، فالمال يتكاثر فى كل عصر .
نقال الأول :

— أنه كان كثيرا ما يتأخر فى دفع مصروفات المدرسة ، وما كانت تزيد فى السنة على ستة جنيهات . . ولا أحب أن أذكر أننا — طالبة فصله — كنا نتعاون على سداد القساط .
— كل هذا لا يدمو الى أن تنتهى .

— متى أعرف أنه كان طوال حياته خاملا ، ولم يكن فى يوم من الأيام أكثر من كاتب كآلاف الكتبة الذين تغص بهم مصالحي الحكومة ، فمن أين له مائة وخمسون ألفا من الجنيهات ، وأنا لا أملك مائة وخمسين ألفا من الملييمات وقد قاربت على سن المائتين . لا أحب أن أحكم بما أعلم ، وأكره أن أرى صديقا قديما لى وهو أمامنا يتوارى خجلا . . ويجفف عرقه ولا يجد لسانه .

فدفع الذى بيده الملف بالملف الى كاتب الجلسة ، وهو يقول :

— هام وعاجل جدا ، يستدعى صاحب هذا الملف للجلسة الأولى من الشهر القادم .
نقال الأول :

— من أحضر تلك الجلسة . . ينتدب من يحل مكانى .

— بل تحضر وتتنحى عند تظر هذا الموضوع .

وبجاء اليوم الموعود ، وفتح المصعد وخرج منه رجل أشيب
تصير القامة دميم الخلقة يكاد يملأ وجهه أنه الكبير ، وكان يرتدى
بذلة من الموهير الأسود تتدلى من عنقه كرافقة تعلن أن لايسها من
الأثرياء .

ووجد الرجل باب مقر اللجنة ووقف يتلفت لا يدرى أين يذهب ،
فإذا بأحد الحجاب يسرع إليه ويقوده الى . غرفة بها نضد طويل
جلس حوله بعض الرجال ، وخلق النضد شئنا لحفظ الملفات
ولفائف الحصر التى اسندت الى الحائط ، فأحس فى قرارة نفسه
امتعاضا ولكنه توجه الى كرسي عند رأس النضد وجلس وهو يحيى
الموجودين بايماءة خفيفة من رأسه .

وقال له الحاجب فى جفاء :

— الأخطار .

فأخرج من جيبه مظهرونا الأصغر وأخرج منه كتاب استدعائه
ودفع به الى الحاجب فى ثبات ، وما أن استقر حتى راح ينقل عينيه
فى الموجودين . . . كان كل منهم قد جاء ومعه مستنداته . . وضعها
أمامه فى ملف أو ظرف كبير أو فى حقيبة من الجلد . ولوى شفته
السفلى فى سخوية فقد جاء وليس معه مستند واحد يبرىء
مطاحته .

وكأنما ضاق الناس بالصمت الذى خيم عليهم ، وكأنما أراد كل
منهم أن يفر من الوحدة القاتلة التى غرضها على نفسه ، فإذا بكل
منهم يبيت شكواه لجاره . . كان أحدهم فى المعاشى فراح يشرح
مصدر ثروته التى يسألونه عنها بعد أن ترك خدمة الحكومة منذ
خمس سنوات ، قال أنه اشترى أرضا استصلحها ، وأنه كان يبيع

محصولها ، وإن مرثبه كان يمكنه من شراء الأرض فهو يسكن في بيت الأسرة لا يدفع إيجارا ، وأنه كان يعيش من الخيرات التي كانت تأتيه من البلد .

وتحدث رجل في مصيبة ، قال أنه يعمل في شركة تأمين . . حقيقة أنه لا يحمل شهادة عليا ولكن نشاطه مكنه من أن يحصل على أموال كثيرة . هل نعرف اللجنة حقيقة وظيفة موظف التأمين ومقدار مولاه ؟

وراح سائق يروي بلهجة بلدية مكهة مشكلته . . أنه لم يعمل في الشركة أكثر من شهر واحد ، فالبيت الذي يسالونه عنه قد ورثه هو وأخوته الأربعة عن أبيه ، وقال :

— دا حتى بيت لا تطلع ولا تزل . . يعني خلاص ما فيش في البلد دي حرامية الا احنا .

وانطلقت تعليقاته الظريفة ممحا ما خيم على المكان من كآبة ، وأشاع البهجة في النفوس القلقة الخائفة .

وجاء الحاجب وأشار للرجل الأنيق أن يتفضل ، فمثار في خطى ثابتة حتى دخل على اللجنة فالتفتين يرمقانه من وراء مكتب سفت لوجه بعض الأنسابير ، فاحس أن نظراتهما غير ودية فلم يحفل بذلك ، بل التفت عليهما التحية في رقة ، فلم يسمع لتحيته جوابا ، فجلس أمامهما على الكرسي الخالي دون أن تفتلج منه خاطبة .

وبدا أحد الرجلين يلقي أسئلته وكاتب الجلسة يدون كل ما يسمع :

— اسمك ؟

وقبل أن يفتح فمه كان الذي التقى السؤال يجيب في تودة ليكتب الكاتب الاسم . وقد مجب صاحبنا في نفسه لذلك فهم يعرفون

اسمه من غير شك وقد استدعوه باسمه قبل أن يدخل ، ولم
تسنع له فرصة أكبر للعجب والتعجب ، فقد صك أذنيه صوت
الرجل العابس :

— تاريخ ومكان ميلادك ؟

— القاهرة عام ١٩١٨

— الشهر . . ؟

— ٢٧ مايو ١٩١٨

— ذكرت في اقرار الذمة المالية أنك تملك عقارات وسندات
قيمتها مائة وخمسون الفا من الجنيهات .

— نعم

— لم تذكر في الاقرار مصدر هذه الثروة ، آلت اليك عن
ميراث ؟

— لا

— هل دخلك من وظيفتك يسمح لك بتكوين مثل هذه الثروة ؟

— لا .

فاعتدل الرجل العابس وقال :

— ما مصدر ثروتك ؟

فقال الرجل الاتيق في هدوء وثبات :

— روجني ماليكان .

تالتفت المحقق الى زميله ، وسادت برهة صمت وسرمان
ما أحس الرجل العابس أن عليه أن يصدر قرارا قاطعا على كاتب
الجلسة .

— استدعى الزوجة في الجلسة القادمة .

وقام الرجل الاتيق وخرج مزهوع الرأس ثابت الخطو ، وسار

صوب المصعد والحاجب يسير أمامه مرة وخلفه مرة وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة عريضة . . ابتسامة يعرف الرجل الأنيق كل ما فيها من سر وعلانية ، حتى اذا ما بلغا المصعد ضغط الحاجب على البّر وهو ينحني انحناءة خفيفة كلها ملق . ملها مصعد المصعد وفتح الباب وضع الرجل الأنيق جنيتها في يد الحاجب ، فاذا بابتسامته تتسع ، واذا بانحناءته تزداد ، وقبل ان يغيب الرجل الأنيق في المصعد لمح الحاجب الآخر وهو يرتبه وهو يضع الجنيه في يد زميله ، ولمح التقطيب الذي علا وجهه فاستتسر راحة ففى المرة القادمة ستكون المقابلة أكثر ودا وترحبيا . .

ومرت الأيام وجاء اليوم الموعد ، وانفرج المصعد عن الرجل الأنيق الأشعيب دميم الوجه وعن فتاة رائعة الحسن قد كشفت عن ساقين متناسقين وركبتين لا ضخامة فيهما ولا اعوجاج ، قد خرج منهما فحذان صورهما مبدع الجمال فائق خلقهما . . سارت يتقدما بهدان شامخان يتطلعان الى الكون كله في تحد وغرور واعتازة .

وسبقها أريج عاطر نفاذ جعل كل الذين كانوا حول المنفذ المتواضع في غرفة الانتظار يديرون رموسهم الى المبر في ترقب وانتظار . فاذا بالحاجبين يسيران ينظران مرة الى الخلف ومرة الى الامام لكأنما كانا مكلفين بافساح الطريق أمام موكب رسمي خطير ، واذا بالرجل الدميم والى جواره تحفته الرائعة التي كشفت في لمحة عن خائنة أمين الجميع وان كان أغلبهم ممن أحيوا الى المعاش ، وراح كل من في قاعة الانتظار يفسح مكانا الى جواره وهو في شرارة نفسه يتمنى أن تجلس الحسناء بالقرب منه لحظات ليريح ذمه المكود ويسعد بلذة لم يعد له نصيب فيها الا متعة

النظر والخيال . وفجأة أصيب الجميع بخيبة أمل فقد سار التبحر والجمال في المر الطويل الى باب اللجنة .. الذي خلف أحد الحاجبين وفتحه وقد انحنى انحناء ترحيب ، وانفرج فمه عن أسنانه البيضاء وقد غمرته راحة حقيقية ، فجمال المرأة كان يدغدغ الحواس ويملأ الوجدان بالأحلام ..

ودخل الرجل وقسم زوجته الى اللجنة وكانت من نفس العضوين اللذين استجوباه أول مرة ، فإذا بالرجل العابس يمشى وينهض ويشير الى كرسي إمامه لا يفصل بينه وبينه الا المكتب الذي وضعت فوقه بعض الأضابير ، وأشار في ود وقال في صوت رقيق عذب كان وقعه قريباً في أذن الزوج الأشيب :

— تفضل .

فجلست الحسنة ووضعت ساقيها فوق ساق ، فإذا بكاتب الجلسة الذي يكاد يرى ما لا يرى . يتغير لونه ويخف ريقه ويحس أنه فقد لسانه ، فتعنى في قرارة نفسه الا يسأله احد سؤالاً يحتاج منه الى جواب ، فلو أن أحداً فعل فسيتهدج صوته وينكشف الغطاء عما يكابد من انفعالات .

ويعد أن سألها أحدهما عن اسمها وسنها ومكان ميلادها

المبارك مال :

— انهنة من فضلك .

فتالت وهي تميل بصدرها نحو المكتب ، فيبدو لعيني الرجلين الأخدود الرائع الذي حفر بين نهديها من منبعة الى منبحة كسر يكاد يبوح بمكنونه وبميط اللثام عن مصدر الثروة التي ذكرت في القرار :

— مانيكان .

ولم يكن هناك ما يحتاج الى بيان والبرهان ماثل أمام الاعين ،
ولكنها ارادت ان تزيد الموضوع وضوحا فقالت في الفة :

— عرضت أزيائي في باريس ولندن ومدريد .

فقال أحد الرجلين في خبث :

— ألم يكن للبلاد العربية نصيب ؟

نقالب وقد فطننت الى ما يهدف اليه وعلى شفيتها ابتسامة
آسرة ؟

— كانت أول جولاتي فيها .. الكويت .. قطر .. البحرين .

كنت في الشقاء الماضي في دبي .

وفال الرجل الآخر :

— شكرا لك .

وبهضت ونهض الرجل الأثيب وسارا .. هو يتقدمه أنهه ..

وهي يتقدمها ثديان سملان عيني الحاسد ، فلما غابا عن المكان

نظر أحد المحققين الى الآخر وقال :

— مائة وخمسون ألف جنيه ؛

فقال زميله :

— تستاهل .

وانتفت الى كاتب الجلسة وقال :

— يخطئ .

روما ١٦/٦/١٩٧٣.

أرملة من فلسطين

اقتربت المضيضة من على — وكانت ترتدى ثوبا غي زرقة السماء الصافيه مثل على هيئة شوال — وهي تقوم بخدمة ركاب الطائره ، فاشارة لها اشارة خفيفة مخفت اليه مبتسمة تساله عن حاجته . فطلب منجان قهوة سادة . وانطلقت للمضيضة بقامتها الفارعة الى مطبخها الصغير الأنيق وثوبها يفتنى في الفراغ بين الاكتشاف والأرداف يجسم مفاتها الصارخة .

والتفت على عن يستاره فومتعت عيناه على امرأة سمراء البشرة عسلية العينتين يحددهما من استغل هلال أسود ، ترتدى ثوبا كحليا من قطعتين ، وراحت تقرأ في كتاب « البنات والصيف » ، وقد تركت المقعد انذى يفصل بينه وبين الممشى الضيق خاليا ، وجلست في المقعد التالي له ، ووضعت المجلات الأخرى التي كانت تحملها في الجيب المشقوق في ظهر المقعد الذي كان أمامها .

وعادت المضيضة تحمل منجان القهوة وفنجان شاي ، ووضعت القهوة أمام على ووضعت الشئ أمام السيدة السمراء التي كانت تبسمة من الأسي تكسو وجهها ، وأخذ على يحتسى القهوة . ولح من طرف عينه السيدة السمراء تخرج من حافظتها زجاجة صغيرة

تضع منها بعض قطرات فى حرص فى الشاي ، ثم تعيدها الى مكانها .

واسترخى على فى مقعده ، والتفت عيناه اكثر من مرة بعينى السودة وقرأ فى نظراتها نداء أحبس وقعة فى مؤاده ، كان نداء غريبا على سماعه لم يعرف تأويله ، وظل حائرا مدة فى تفسيره ولم يخطر له على قلب أنه نداء يشوبه ظل من الجنس ، فقد كان البريق المشع من عينيها يحرك الجوانب الطيبة فى نفسه .

وهبطت الطائرة فى مطار بنينه ، وأسرع على الى الاستراحة دون أن يلتفت الى السيدة ، كان الجو حارا والمكان مكتظا بالابطاليين والأمريكان ، والمراوح القليلة المتدلية من السقف عاجزة عن تجميد عرقه المتصبيب فلأخرج منديله وراح يمرره على وجهه ورقبته وقفاه .

واقبل الجرسون الليبى ووقف أمامه فقال على :
— قهوة جدد .

ومس الطلب اذنى شاب جالس بالقرب منه فالتفت اليه فى فضول ، فمطن على الى ما فى نظرات الشاب من تساؤل فابتسم له وقال :

— هذد اول مرة تزور فيها ليبيا ؟

نقل الشاب فى راحة :

— نعم ، ولن أمكث فيها طويلا .

— الا تشرب شيئا ؟

— شكرا .

— اهرق أن ليس معك نقود ليبية بعد ، لا تهتم بذلك فمعى نقود ليبية كثيرة ، اننى أعمل هنا من ثلاث سنوات .

وأشار على الى الجرسون أن تعال ، ولما جاء قال على للشباب :

— « أشرب » بـ « أم قهوة جدد »
وبانت الدهشة في وجه الشاب فلم يدر ماذا يختار ، ولم يتركه
على حيرته بل قال :
— قهوة جدد أي قهوة « قندق » أي سكر « ع الريحه » ، فما
رأيك ؟

— أهي مثل القهوة المصرية ؟
— لا انها قهوة بنها مجروش ان تعجبك . ، افضل لك
« بـ » .

وقبل ان يقول الشاب شيئا قال على الجرسون :
— بـ .

وذهب الجرسون وقال على الشاب :
— سنناول قهوة مصرية في بيتي ، اننى قاطن في طرابلس
بالقرب من فندق مهاري .

وظل وجه الشاب جامدا لم يزد عن عليا بشيء ، انه لم ير
طرابلس من قبل ولا يدري أين يقع ذلك الفندق الذي يتحدث منه ،
وقال الشاب :

— اشكر لك دعوتك .

وعاد الجرسون ووضع القهوة أمام على ووضع كوبا به سائل
أبيض في لون اللبن أمام الشاب ، ونظر الشاب الى الكوب عليا
وقال :

— اهذه هي « البـ » ؟

— ذقها انك تعلم .

ورفع الشاب الكوب الى فمه ورشف منها في حرص ثم قال :
— لذيذة ! يخيل الى اننى شربت هذا الشراب من قبل .
فابتسم على وقال

— انها سويبية .

ورشف على من الفئجان رشلة ، ورمع عينه الى الجرسون وقال :
وهو يهز رأسه استحسنانا :

— « باهى » :

واشرق وجه الجرسون بابتسامة عريضة وانصرف راضيا ،
وقال الشاب :

— ما معنى باهى ؟

— معناها « حسن » ، وقد سمعت في ليبيا انها كلمة عربية
ولكننى لا افهم في اللغة شيئا .

فقال الشاب وهو يضحك :

— « باهى » فعلت .

فقال على وهو مسرور :

— لو كانت كلمة عربية لوجب ان تقول : « باهيا فعلت » .

وراح الجرسون يمر على الموائد وهو يعرج ، ولح على اثار
الآلم في وجهه فقال له لما دنا منه وهو يشير الى رجله :

— ماذا بك ؟

فقال الجرسون وقد ارضاه ان يهتم غريب بأمره :

— « كراعى » تؤلمنى ، ارتطمت بمقعد هذا الصباح .

واستأنف الجرسون عمله ، ولما اقتعد قال الشاب :

— كراعه تؤلمه ؟ ا. ما هى كراعه ؟

— ساقه .

— الساق اسمها كراع ؟ ا.

— انها من الكارع .

ومر بعض الوقت ، واقبل الجرسون وقال :

— ستتحرك الطائرة بعد خمس دقائق .
فقال على في هدوء :
— واتى .

وأخرج من جيبه حافظة نقوده ودفع ثمن ما شربه وما شربه
الشاب ، وابتعد الجرسون وقال الشاب في صوت خافت وهو
يقدر زناد فكره محاولاً أن يفهم معنى الكلمة :
— رانى ! واتى ! ..

فقال له على وهو يتنسم :
... لا تجهد نفسك ، انها ليست كلمة عربية ، انها كلمة بربرية
ومعناها : انا مستعد .
وضحك الشاب وقال :
— وأنا « واتى » .

وجاء رجل يسعى ووقف في وسط المكان وصفق ثم قال :
— تفضلوا ..

ونهض المسافرون الى طرابلس ليستأنفوا رحلتهم ، وسار على
والشاب الى الطائرة ، وقبل ان يصعدا في الدرج التفت على الى
الشاب وقال :

— لا تنس انك مدعو لشرب القهوة المصرية في بيتى .
— شكرا لك .

— بعد ستاعتين من الملل والفراغ سنحتسى القهوة المصرية معا
ان شاء الله .

— ان شاء الله .

وقبلا في الطائرة ، وانطلق على الى مقعده والتفت الى السيدة
السيدة فالفها قد اضطجعت في مقعدها وسقط رأسها على

صدرها وغابت عن الوجود ، وجعلت تشهق وتزفر فى جهد وقد
تفصد ألحرق من وجهها ، فخف اليها وجلس فى المقعد الخالى الى
جوارها وتناول يدها وجعل يذلها بيديه ، ثم رفع يده وراح يضرب
خدها فى رفق لعلها تفيق دون جدوى ، فنادى المضيعة فجاءت
بسرعة فقال لها فى لهفة :

— كولونيا من فضلك .

وهزولت المضيعة بجسمها الفارع وغابت قليلا فى مقصورتها
وما لبثت ان عادت مسرعة تحمل زجاجة الكولونيا ، فبسط لها كفه
فصبت فيها الكولونيا ، فأدناها من أنفها ثم راح يمسح بيده وجهها
وجيدها .

واضيئت اللافتة التى تأمر الركاب بربط أحزماتهم ، فلف حزام
المقعد حول وسطه ومد يده ليلف حزامها ولكنه أحجم ، أحس كأن
رجلا آخر يتلبسه يصيح به فى زجر الا يفعل ، وانكمش أمام ذلك
الصوت التامى وثلثت حركته ، وأشار الى المضيعة ان تربط لها
حزامها ففعلت ثم أسرع الى مقعد خال وجلست فيه ولفت الحزام
حول وسطها .

وراحت الطائرة تدرج على الأرض ثم ترتفع فى الجو وهو بذلك
يديها فى رفق ويربت على خدها فى حنان حتى فتحت عينيها ، ولما
رائه ابتسمت له ابتسامة شاحبة ، وترجم البريق المتألق فى عينيها
من شكرها ورضاها .

«رفعت رأسها واعتدلت فى مقعدها قليلا ، فقال لها :

— كيف أنت الآن ؟

— أحسن .

وانتظم تنفسها وعادت الحمرة الى خديها ونبضت الحياة فى

عينيها ، وظل الهلالان الاسودان اللذان يحدان عينيها من اسفل
على حالهما ، ومال نحوها وقال لها :

— اهذه اول مرة يحدث لك فيها هذا الذى حدث ؟

فقالت فى فترات يشوبها اسى :

— حدث لى ذلك مرة قبل اليوم ، وقد عرضت نفسى على
الطبيب فقال لى ان دورة الدم غير منتظمة ، ولكننى فهمت ان قلبى
ضعيف .

— ومن اين جاء هذا الفهم ؟

— وصف لى ان اتناول اربع نقط من الكورامين ثلاث مرات
فى اليوم ، فاذا لم يكن قلبى ضعيفا فلماذا وصف لى الكورامين ؟
ولم يكن يفقه شيئا فى الطب. ولكنه احس رغبة فى ان يدخل
العلمائنة على نفسها الواجفة فقال فى حماسة :

— وصف لك الكورامين ليعاون على انتظام دورة الدم ، لقد
وصف لى الطبيب مرة استعمال الكورامين مع ان قلبى سليم ، انه
علاج عارض .

وصمت وراح يسأل نفسه : لماذا كذب ؟ وما الذى دفعه الى
هذا الكذب ؟ وقيل ان يسترسل فى حساب نفسه قالت له :
— اظن انك رايتنى وانا اضع الكورامين فى الشاي ؟
— نعم .

و انتفت عيناها بعينيها . كانت نظراتها اليه تختلف عن النظرات
التي حار فى امرها ، انها نظرات راضية تدعوه الى الاسترسال
فى الحديث الذى ينزل السكينة على قلبها ، بينما كانت نظراتها التي
فهمت عليه تتوسل اليه ان يخف اليها ليحميها من الغيبوبة التي
كانت تزحف لتحجبها عن وعيها .

عرفت على شفتيها بسمه وقالت :

— أحسست أننى سأغيب عن الوجود قبل أن تهبط الطائرة
فتمالكت ، حتى إذا ما استقرت الطائرة على أرض المطار أسرعت
الى شرفة المضيفات وتحدثت فى سرير الأيسر للدم الصعود الى
رأسى . . وقد أحسست بالراحة فعلا ولكن ما أن عدت الى الطائرة
حتى شعرت بالاغماء يعاودنى .

— نعلك أجهدت نفسك فى الأيام الأخيرة .

— عدت بالطائرة من الاسكندرية الى القاهرة ، ومن القاهرة
ركبت هذه الطائرة .

فقال على فى دهش :

— أنت مصرية ؟

فهزت رأسها أن نعم ، فعاد على يقول فى انكار :

— ان من براك يحسبك سورية .

— حقا ؟

— انت سورية على الرغم من سمره بشرتك ، التقاطيع . .
الأنف . . الدم . . حتى لهجتك .

فقالت وقد أشرق وجهها بابتنامة حلوة :

— أبى مصرى وأمى فلسطينية .

— وأين ولدت ؟

— فى القدس .

— وأين أبوك الآن ؟

فقالت فى بساطة :

— مات ولحققت به أمى .

فقال على مواسيا :

— هذا حالنا ، وأنا أيضا مات أبى ولحقت به أمى .
فقال فى مرارة :

— ان كان أبوك وأمك قد ماتا فقد بقى لك ووطنك ، أما أنا
فلا وطن لى .

فقال على وقد اتسمت عيناه :
— ألم تقولى ان أباك مصرى ؟

— ولكننى ولدت فى القدس ، وعشت فيها وتفتح شبابى
عليها ، ابنى فلسطينية ، ولقد عشت النكبة وقت مرارتها وتجرعت
كأس التشريد ، ابنى مذفررت من وجه الطغيان أهيم على وجهى
تائهة فى هذه الدنيا الواسعة ، وكلما مرت الايام ازداد احساسى
بوحدة بشاعة ، واتصور أحيانا أن العالم كله يمقتنى . . هدفه
أن يسحقنى ، ويا ليتة يقضى على دفعة واحدة الأستريح ، ولكنه
يتفنن فى تعذيبى . اننى لا أظن أن الزمن قد عذب أحدا كما عذبنى .
فقل لها على فى اشتياق :

— أوهامك تصور لك ذلك ، أنت مريضة بالوهم .

فابتسمت فى استخفاف وقالت :

— يا ليت أأ .

— الكورامين . . ضعف القلب . . تسوة الحياة . . كلها أشياء
من خلقك أنت .

فبالت وقد غامت صفحة وجهها بسحابة من الاسى :

— لولا اننى لا أريد أن أثقل عليك لقصصت عليك قصتى .

فقال على فى صدق :

— انه لما يشرح صدرى أن أصغى اليك .

— ولكن قصتى لا تشرح الصدر .

ويظن اليها طويلا دون أن يمس بكلمة ، وشرد مفكرا .. كان يبحث عن الالفاظ التي تترجم عن الاحساس الجيئش الذي يملأ جوانحه ، وضاق بالصمت الذي ساد بينهما فقال :

— قد تستريح النفس الى حديث فياض بالاسى وتنفر من حديث زاخر بالمرح ، العبرة في أن يفتح القلب للقلب ، وقلبي الآن مفتوح لكل ما يخرج من بين شفثيك .

واسبلت جفنيها على عينيها .، بهرها ذلك البريق المتألق في عينيها . وظل يرمقها فاستشعر ميلا اليها ، انها قريبة اليه .. اقرب من ذلك الفراغ الذي يفصل بين متعديهما ، وقال :

— قولي كلى آذان .

والثفتت اليه بكل جسمها ، وراحت تقص قصتها في صوت مشوب بأسى ينفذ الى القلب ويحرك مواجع النفس ، قالت :

— كان بيتنا في القدس ، وكانت مدرستي في شارع الملك داود ، فكنيت أذرع الشارع أنا وصويحيباتي في الصبح وفي العصر ، ومرت الايام والشهور والسنوات زاخرة بالغبطة والآمال ، يزيد جمالها ما تضيفه عليها قلوبنا الشابة الخلية النابضة بأروع مشاعر الحياة .

وجاء اليهود الأفاكون الى الوطن الحبيب من بشسارق الأرض ومغاربها في حماية دولة الانتداب ، وبعد أن كانوا أذلة طغوا وبغوا واشتدت مطالبتهم بتفيذ وعد بنفوز المشنوم ، وقمنا للدفاع عن كباثنا ولكن الانجليز كانوا يضربون على ايدينا بشدة ويتركون الأفاكين يرتكبون الجرائم في حمايتهم .

واعلن الانجليز انسحابهم من فلسطين بعد أن أحكموا تدبير مؤامرتهم مع اليهود ، فراحت فلسطين ترقص على فوهة بركان ، وكثرت الاشتباكات والافتيالات .

وفي ذات صباح كنت اجتاز شارع الملك داود وكنت قد بلغت التاسعة عشرة ، واذا بشابين يهوديين يعترضان مسبلي وقال احدهما : « نعلمين ان فتاة يهودية قتلت أمس ، قتلها العرب » ، وارتحفت وتحركت لأمر من وجهيهما واذا بصوت آمر يقول : « قفى » ستمتوتين الآن كما ماتت اخفنا بالأمس » وأخرج مسدسه وصوبه الىّ وهو يقول : « صلى » ، ولم افعل شيئا ، تملكنى رعب شديد ، واحسست ان رأسي فراغ ، تعطل فكري وان كانت مشاعر الخوف تكاد تقضى علىّ .

وسمعت صوت انطلاق رصاصة وانهرت على الأرض كما ينهار الجدار وقر في وجداني أنني مت ، وغابت عن الوجود . وتقضت لحظات وأنا لا أحس شيئا ، وبدأت المشاعر تعاود نبضها في جنبائي ، وفتحت عيني وأنا خائفة فראيت اشباحا تفرقص وأخذت الصور تتضح لعيني شيئا فشيئا ووعيتي يعود الىّ ، فطنت الى أنني مستلقية على الأرض وأن رأسي على ذراع رجل ، وأن الناس التقوا حولي .

ونهضت اتحسس مكان الرصاصة في جسمي ، وكم كانت دهشني عندما اكتشفت انها لم تصبني . وتطوع كثيرون لقص ما حدث على مسامعي ، وقد فهمت من رواياتهم ان دروية بريطانية ظهرت في الطريق في الوقت الذي صوب فيه الجبان مسدسه الىّ ، وأنه ارتبك فطاشت رصاصته ومرت بجوارى وأن اليهود سارعوا الى سيارة كانت في انتظارها وغرا هاربين .

ودمعت قليلا ثم قالت :

— نيتنى قتلت في ذلك الصباح واسترحت من العذاب الذي كان في انتظاري . بعد تلك الحادثة نسف فندق الملك داود وانسحب الانجليز بعد ان تركوا بعض اسلحتهم لليهود ، وبدأت المذابح

ودخلت الجيوش العربية لانقاذ فلسطين ، وكانت خيانات الملوك
نسقطت القدس الجديدة فى ايدى الصهيونيين ، وكان علينا أن
نترك الدار التى نشأت فيها ونفر من الموت الذى يتعقبنا ، وهما
على وجوهنا مرعوبين وأصبحنا لاجئين بعد أن كان لنا بيت وأهل
وطن .

واسبلت جفنيها على عينيها لتخفى الحزن الدفين الذى تحرك
واحتشد فى مقلتيها ، وقالت فى مرارة :

— وفجأة وجدنا أنفسنا مرعاً بلا أصول ، عضواً أبتر انفصل
عن الجسد . وكنا على الرغم من الشقاء الذى نثجّره أسعد
حالا من أخواننا ، كانت جنسية أبى جواز المرور لنا فانطلقنا الى
مصر وحملنا رحالتنا فى الاسماعيلية .

وبدا أبى من جديد .. وانها لقسوة أن تضطر الظروف من
كان يعيش فى حبوحة مثله أن يبدأ من جديد ، واتضح أن الأمر ليس
فى مثل السهولة التى صورها لنا أول ما هبطنا الاسماعيلية ..
ونطقت أن الواجب على أن أعمل لأساعد أبى وأمى ، ووجدت عملاً
فى مدرسة . ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدرسة تعلم الفتيات
الحساب .

وذات طعم الاستقرار فى الاسماعيلية ، ولكن كان قلبى متعلقاً
ببيتى الذى كان هناك يروح تحت ظل احتلال الصهيونيين .

وعرفته فى المدرسة ، كان مدرسا للغة الانجليزية وكان وديعاً
خبولاً .. اذا تحدث الى يطرق الى الأرض ويقضم أظفاره بأسنانه
كالأطفال ، وقد مست وداعته وترا حساساً فى نفسى وخفق قلبى
بحبه ، وقد عجبت لذلك الاحساس الجميل الذى تدسس الى ظلام
روحي فى غفلة منى .

وانزعنى أن قلبى قد خفق بالحب على الرغم من المحنة التى
تعيش فيها . حاولت أن أقهر ذلك الشعور وأن أقبره ولكن الحياة
أقوى من أتراحنا ، فطفنا حبى فوق أحزائى وتندى فى لغتائى
وحركاتى ونظراتى ، حتى إن أمى غطنت الى التبدل الذى اعترانى
وسألتنى فى حنان عن حياتى وعن شعورى نحو زملائى ، فافضيت
إليها وأنا مطرقة أكاد أنوب خجلا بسر قلبى ، ونظرت إليها من
بين أهدابى المسبلة لأقرأ الغضب فى وجهها ولكنها كانت منبسطة
الأسارير تتألق نظراتها بالغبطة : وطففت سعادتها حتى أنها ضمتنى
الى صدرها وقبلتنى .

ونسد أزرى رضا أمى فأشرقت نفسى ، وأقبلت عليه أحادثه وأنا
نابضة بالحب والحنان ، فاستراح الى وحلت عقدة لسانه وكشف
عن مكنون صدره ، قال أنه يحبنى وأنه لا يستطيع العيش بدونى ،
وأنه يريد أن يتخذنى زوجة ويود أن يسمع رأيى .

وغردت بلابل نفسى ، وتفجرت ينابيع سعادتى ، وصفت الحياة
فى عينى وطفرت دموع الفرح من مقلتى ، ولم تتحرك شففتاى بكلمة
وإن نطقت كل ملامحى وخلجات ذاتى ترحب بذلك العرض الكريم ،
واحس السعادة التى غمرتنى ، وهنأ قلبه بحديث قلبى فقال فى
صوت خافت زأخر بالغبطة : شكرا . . شكرا .

وتم زواجنا ، ومرت الأيام وأنا هائمة فى دنيا كلها غبطة . .
وفجأة استيقظت من الحلم الجميل على موت أبى ، حزنت وبكيت
ولكن زوجى مسح بیده الحنون دموعى ، وبرزت روحى من أحزانها
بما سكبها فيها من عطف وحنان . . واستأنفت حياتى أعب كئوس
سعادتى . وتصرمت سنون ومائت أمى فنكأ موتها جرح نفسى
وعادت نكمتنا تتبلل لعينى ، صرت أراها فى يقظتى وفى نومي ،

ويا طالما رايت في أحلامي الشباب الصهيونيين وهما يستوقفاني
في شوارع الملك داود ويصوب أحدهما إلى "مسدسه نأهب من نومي
مفزوعة وأنا أصرخ في رعب وهلع .

كان عزائي يوم موت أبي أنه دفن في أرض وطنه ، أما أن تموت
أمي مشردة دون أن تلفظ آخر أنفاسها في القدس فذلك الذي كان
يقطع : ياط قلبي . وأصبحت حليقة أحراني ، وبذل زوجي ما في
طوقه ليرقه عني ولكن جرح فؤادي كان أعمق من أن يلتئم ، قيحه
استسلامي لأحاساساتي السوداء .

آه لو كنت أدري ما يخبئه لي قدرى لقاومت مشاعري وغمرته
بكل ما تزخر به نفسي من حنان ، ولكن لم يخطر لي على قلب أن
الزمن يدخر لي أسوأ ما في جعبته من مفاجآت .

كانت إسرائيل سبب نكبتى الأولى وكانت هي سبب فجيعتى
الثانية ، وانتى أعيش الآن على أمل واحد أن أرى نوال تلك الباغية
التي جرعتنى أمر كثوس الحياة ، وإن يتلوى طغاتها من الألم على
ما اقترعوا من آثام .

نسجت إسرائيل خيوط المؤامرة على مصر ، وتم اتفاق الأوغاد
على الغدر بها . وتحركت إسرائيل على الحدود ، وحاول الانجليز
والفرنسيون أن يطعنونا من الخلف ، وشنت الطائرات علينا
الغارات . ولا ادعى انتى قابلت تلك الغارات وأنا رابطة الجاش ،
كنت ارتجف هلعاً وأصيح محمومة أستنزل اللعنات على الغادرين ،
فقد كنت أخشى أن ينزل بوطن أبي ما نزل بوطن أمي ، وأن نهيم
على وجوهنا جميعاً مشردين .

كان إذا ما انتشر أزيز الطائرات يهرع إلى "ويضمنى إلى صدره
في حنان ليذهب عني روعى ، ولكننى كنت ألتفض في أحضانة

وأنا اسبب واللعن وأصيح ، وهو يحاول أن ينفث في الاملثنان
بكلماته التي يسكبها في .

ومى الليلة المشثومة استيقظت من نومى مفزوعة على أصوات
القنابل الهابطة من السماء ، ففتحت باب فرغتى وانطلقت اعدو فى
الطريق دون وعى لا الوى على شىء ، ولا أعرف أين أتوجه ، وهب
من نومه وراح يعدو خلفى وينادىنى والقنابل تتساقط حولنا ،
وصكت أذنى صرخة مرعوبة ثم صوت انهيار ، وعلى الرغم من
الهلع الذى استبد بى ، أحس قلبى ما حدث وفى مثل لمح البصر
تمثلت لذهنى الفاجعة ، فانتشع خوئى فجأة ووقفت والتفت خلفى
فرايته يتلوى من الألم ، فعدت إليه ونظرت ، فإذا بالدماء تتفجر
من جراحه غارتميت فوقه أحاول أن أسد بيدي ينابيع الدماء المتدفقة
دوى جدوى ، وجن جنونى فجعلت أصيح وأنادى وأتلفت وضاعت
صيحائى بين هزيم القنابل المعوية .

وسكن كل شىء ، حتى قد سكن عن الحركة ، وأخفيت وجهى
فى صدره الفارق فى الدماء وأنا أبكى وانتحب واختلطت دموعى
بدمائه وتمنيت فى تلك اللحظة لو أن الطائرات تعود وتصوب الى
كل ما تحمل لأذهب معه ، فقد كان آخر خيط يربطنى بدنيا الضوارى
التي لا يزال يحكمها قانون الغابة .

ولم اطق العيش فى مصر بعده ، فرحت أسمى للخروج
منها ، وواتتنى الفرص فوجدت عملا فى ليبيا ، فحملت أحزائى على
ظهري وانطلقت اليها .

وصمتت وظل على يرقبها وقد ثبتت مشاعر جديدة فى جوفه ،
كان يستشعر عطفنا نحوها ويحس أنها صارت قريبة الى قلبه
حببية الى نفسه ، وأراد أن يظل حبل الحديث موصولا بينهما
مقال :

- وماذا تعملين في ليبيا ؟
 — نقالت دون أن تنظر إليه :
 — ناظرة مدرسة ابتدائية .
 — وقال وقد تهدج صوته :
 — أتعيشين في طرابلس وحده ؟
 — نعم ، وبيتى في شارع القاهرة . ولم أسكن في هذا
 الشارع عفوا فقد صممت على أن أقطن فيه ليذكرني دوما
 بمأساة حياتي .
 — إذا كنت ترغبين في أن تظل مأساة حياتك حية في نفسك
 فقيم كان هريك من مصر ؟ !
 — أننا نهرب دوما من مسرح الفاجعة ، ولا مفر من ذكرها
 — ولماذا لا تحاولين أن تنسى ؟
 — ولم تدعه يكمل حديثه ، وقالت في مرارة :
 — هيهات أن ينسى المرء مشه السعيد الذي تقوض .
 — لا تزالين شابة ، لماذا لا تحاولين أن تبني عشا سعيدا
 آخر ؟ .
 — فابتسمت ابتسامة باهتة وقالت :
 — أن كان شعري لا يزال أسود فإن الشيب قد نبت في أغوار
 نفسي وجلل وجداني .
 — فقال خافق القلب وقد ازداد منها قريبا :
 — قطرات من الحب كذا ، تعيد سواد الشعر إلى
 وجدانك .
 — فقالت وهي تبتسم في استخفاف :
 — سيكون سواده كسواد الصبغة ما يلبث أن يذهب .
 — أنك لم تشيخي ، ولكن نفسك قد جرحت والأيام هي البلسم
 الشافي للجروح .

فلوت شفتها وقالت فى مرارة :

— لو كان هذا حقا فسييرا جرح قلبى بعد أن يمتد اشتعال
الشيب من أمانى الى رأسى .

فقال فى انفعال :

— نتحدثين كأنما الشباب والجمال المادى كل شيء ، الحب
الصحيح هو حب الروح ، وما أكثر الذين سيعشقون روحك
لو فتحت لهم قلبك وخرجت من قوقعة ذاتك .

فكأنت فى زراية :

— شكرا .

ولم تفتر حماسه وقال :

— أنت وحيدة فى طرابلس وأنا وحيد ، أسمحين لى بزيارتك ؟
فكأنت فى ترحيب :

— ليتك تفعل :

— قلت ان منزلك فى شارع القاهرة ..

— أمام محل منصور .

وابتسم وقال :

— تحدثنا طويلا دون أن يقدم أحدهما نفسه للآخر ، أنا على
طه محاسب قانونى ، لى مكتب فى طرابلس وآخر فى بنى غازى
وأنا دائم التنقل بينهما .

فكأنت وهى تبتسم :

— تشرفنا .

صمتت ولم تذكر له اسمها ولم يكن فى حاجة الى معرفته ،
فهو يحس فى تلك اللحظة أن روحها أنسابت بين جوانحه فأيقظت
أرق مشاعره الهاجعة . وأضيت اللافئة التى تأمر الركاب بربط
أحزماتهم فلف كل منهما ذراعه حول وسطه ومال نحوها بكل جسمه

وأدبني منها أذنه لبتمكن من سماع حديثها ، ولكن كلماتها ضاعت
في هدير « راوح الطائرة التي علا ضجيجها .
واستقرت الطائرة على الأرض غالتفت إليها وقال :
— حمدا لله على السلامة »

ومال وجذب حقيبته الصغيرة من تحت الكرسي الذي أمامه ثم
نهض وأفسح لها طريقا ، ومدت يدها لتحمل حقيبتها المنقحة ولاح
في وجهها أنها قاست من حملها ، فخف إليها وحمل الحقيبة عنها
وهي تقول :

— عفوا .. عفوا .

نقال وهو يبتسم :

— باهى .. باهى .

وسارت وهو خلفها حتى إذا هبطا إلى أرض المطار انطلقا جنباً
إلى جنب رهما يتحدثان ، وأحس على يدا على كتفه غالتفت خلفه
ماذا بالشباب الذي وعده بفنجان قهوة مصرية يشرية في بيته يبتسم
له . كان على قد نسيه في غمرة نشوته بالحديث الذي كانت
تسكبه في أذنيه . انه كان صادق الشعور سليم القلب ساعا أن
دعاه مما دار في خلده أن يطرا على حياته كل ذلك التغيير في
ساعتين حسب أنه سيقضيها في تناوب وملل ، أما الآن فقد
زحف الضيق إلى صدره وإن لم تبد على وجهه آثاره .

والتصق الشاب به كأنما يحتوى به فما كان يدري إلى أين
يذهب وماذا يفعل ، وانتهت الاجراءات وخرجوا إلى سيارة الشركة
التي كانت تنتظرهم ، وجلست وأسرع بالجلوس إلى جوارها مسانر
آخر ، فأخذ على يرقه في شزر ، ثم اتخذ مكانه خلفها وهرع
الشباب إليه وجلس إلى جواره .

وانطلقت السيارة الى المدينة ، وقال الشاب لعلی وهو يبتسم :
— عزمت علی أن أنزل فی الفندق القريب من بيتكم ، لقد ذكرت
لی اسمه ولكننی نسيتہ ، ما اسمه ؟
— المهارى .

وقال الشاب دون أن يقطن الى أن علیا يريد أن يظل فی رقة
تفنه ، يحلل مشاعره التي تفجرت بغزارة فی أعماقه بعد حديث
السيدة الذى لمس أوتارا مرهفة الحس فی وجدانه :
— وهل « المهارى » كلمة عربية ؟ .

فقال علی فی نبرات تنم عن رجائه له أن يسكت والا يعاود
الحديث :

— انها كلمة ايطالية ومعناها « الهجين » .

وقال الشاب ليظل حبل الحديث موصولا بينهما :

— قطعنا مسافة طويلة ولم نبلغ بعد المدينة ، فكم كيلومترا يبعد
المطار عن طرابلس ؟

ولم يحر علی جوابا ، ونظر اليه الشاب فالفاه شارد اللب ،
فاحترم صمته مرغما .

وبلغت السيارة المدينة وهبط منها ركابها ، وسر علی أنها
وقنت تنتظر هبوطه مخف إليها يودعها وهو خافق القلب يشنع من
عيفيه بريق أخاذ ، ومدت له يدها مصافحة فأسرع واحتوى يدها
فی بده وضغط عليها فی خفة لتسرى المشاعر المواردة المربدة بين
جنباته إليها ، وقال فی رقة :

— مع السلامة .

وقالت فی هجوء :

— منتظرة زيارتك .

وتدقق الدم حارا الى وجهة وقال فى صوت متهدج :
— ان شاء الله .

وسارت وهو يرمقها ونشوة تدغدغ كل حواسه ، واحساس
بالرغبة فى أن يعدو خلفها ليكون الى جوارها دوما يملأ نفسه .
وغابت عن عينيه ، ودار على عقبه فالتى الشاب قد وضع
حقييته بين رجليه ووقف ينتظره ، فابتسم له وقال :
— تعال .

وركبا عربة حنطور تظللها مظلة كبيرة مخططة من مخلات
الشواطىء ، وراح الشاب يملأ عينيه بالمحال والمباني والغادين
والرائحين ، وسارت العربة الى الكورنيش ، فصاح الشاب فى
فرح :

— لكاننا فى الاسكندرية ، فى الميناء الشرقى على الحديد .

وظل الشاب فى تلفته دون أن ينبس على بكلمة . . كان غارقا
فى بحر من الافكار . ووقفت العربة امام مبنى أبيض له مظلة
اقيمت على أعمدة مستديرة رنيمة اسطفت تحتها بعض سيارات ،
وفوق المدخل شيدت بناية مئنة الشكل فى قاعدتها نوافذ ، وفى
منتصف المئنة قامت أسطوانة تنتهى بنصف دائرة ، وكتب فى أعلاه
بالعربية والإيطالية « فندق المهارى » ، وهبط الشاب وهو يحمل
حقيبتين ولحق به على ، وأراد الشاب أن يقول شيئا ليذهب
الوحشة التى بدأ يحسها فقال :

— عربة جميلة .

فقال له على :

— انها تسمى هنا « كاروسه » .

وذهب على وحجز له غرفة ، وانتظره فى الردهة حتى ينتهى
من وضع حوائجه ويمود الية ، وأخذ على يذرع المكان وهو يرم

بالانتظار . افة قد عرض على الشاب ان يصحبه الى بيته ليشرّب
فقجانا من القهوة لأن حياته فى طرابلس كانت فارغة وكان فى
حاجة الى من يؤنس وحشته ، أما بعد ان قابلها فقد ذهبت عنه
وحدثه وملأت عليه حياته .

وعاد الشاب وصحبه على الى بيته ، ورحب به وقدم اليه قهوة
مصرية ، وراح الشاب يتحدث وهو غائب عنه . ووطن الشاب
الى شروده فاستأذن فى الانصراف متعللا بتعبه وحاجته الى
الراحة .

وبقى على فى البيت مع طيفها يتمثل الحديث الدائر بينه وبينها
ورن فى سريره صوته وهو يقول لها : « لماذا لا تحاولين ان تبني
عشا سعيدا آخر ؟ » فضرب كفه بقبضته وقال : « نعم ، لماذا
لا تحاول ان تبني عشا سعيدا آخر ؟ فلتحاول وسأعاونها على
تشبيده ، اننى لم أفكر من قبل فى ان أتزوج ولكننى الآن أتمنى من
كل قلبى ان تقبلتى زوجا ، ان روحى قد أحببت روحها . . عشقتها . .
هامت بها . . وجنت أخيرا ما كانت نفسى تشتت به وتهفو اليه » .

وارتمى فى فراشه وسبح فى عالم من الرؤى العذاب ، وتردد
فى جوفه صوتها وهو يقول : « ان كان شعرى لا يزال أسود ، فان
الشبيب قد نبت فى أغوار نفسى وجلال وجدائى » وهب من رقاده
فائرا وهو يقول : « لا ، لا ، أنها واهمة ، وهى دائما تضنخم
أوهامها ، لقد أصبت كبد الحقيقة عندما قلت له : انها مريضة
بالوهم . ستأشفيها من وهبها هذا ، ستغوب تلوج مخاوفها تحت
شمس حى ، سأغذيها بالحنان حتى أقوى روحها وأعيد اليها ثقها
بنفسها التى زهزعتها الأحداث » .

وعاد مرة أخرى الى فراشه وتمدد فيه وهو يغمغم : « اننى

أحبها .. أجل أحبها على الرغم من أن عمر معرفتي بها لا يزيد على ساعتين ، أن مشاعري لا يمكن أن تخدعنى وأنا فى مثل سننى .
مقد تجاوزت مرحلة الطيش والاندفاع » .

وتقلب فى فراشه وراح يفكر فى الأرملة التى ملكت كل حواسه ، وقر رايه على أن يذهب إليها فى الغد يشرح لها فى بساطة حقيقة مشاعره ويطلب منها الزواج . وعلى الرغم من أنه قد استراح الى ذلك القرار فقد جافاه القوم ، واستمر طوال الليل يجتر أحداث الساعدين اللتين أمضاهما معها وهو مقمى بالغبطة والانشراح .

وتصرم الليل واتبل النهار ، فراح يتأهب للذهاب إليها خائف القلب يحس كأنها قد خلقت خلقا آخر ، ولما أتم تأنيقه هبط فى الدرج مسرعا ، وهرع الى سيارته وانطلق بها الى شارع القاهرة .

ووقف أمام محل مصنور وقد انحنى وجيب قلبه ومشى الاضطراب فى أوصاله ، ونظر فى قلق الى البيت المواجه للمحل مالفاه من طبقة واحدة تعلو الدكاكين ، فهبط من سيارته وتمر لسانه على شفتيه ليذهب عنهما الجفاف الذى بدأ يحسه . ووقفا برهة يسترد أنفاسه المبهورة ويجمع شتات أمره ثم سار الى البيت لا يلوى على شيء ولا يلتفت خلفه .

وطرق باب الشقة طرقة خفيفة كانت أخف فى أذنيه من طرقات مشاعره الصاخبة المدوية ، ومرت لحظات ثم فتح الباب عنها .. كانت ترتدى ثوبا منزليا بسيطا وشعرها مسترسل على كتفيها ، ولما رآته تألقت عيناها ببريق خاطف وانفجرت شفتاها من بسمة عذبة وقالت :

— أهلا وسهلا .. تفضل .

وقادته الى غرفة الاستقبال ، وكان أثاثها بسيطا ولكنها كانت
منسقة تنسيقا جميلا يتم عن حسن ذوقها ، وجلس وتحركت لتبدل
ثوبها وهو تقول :

— لحظة واحدة من فضلك .

فقال وهو يزحف حتى حافة المقعد :

— أعرف أنني جئت في وقت غير مناسب ، ولكن عذري أنني
لم أستطع الصبر على ما أريد أن أقضي به إليك .
وأشار الى مقعد أمامه وقال :

— اجلسي أرجوك ، ولن تستغرق زيارتي الا دقائق قليلة .
وقرأت في عينيه التوسل فجلست صامتة ، ونظر طويلا الى
الهالين الاسودين اللذين يحدان عينيها من أسفل ثم قال :

— لم أفكر في شيء منذ افترقنا حتى الآن الا إليك .
وأحس أنها جملت وان جاهدت لتخفي انفعالها ، فقال في
هدوء وأبى تهدج صوته :

— أرجو أن تستمحي لي أن أعبر عن نفسي في صدق وبساطة ،
أنني لم أذق طعم النوم البارحة ، أمضيت ليلي أفكر في كل كلمة
خرجت من بين شفتيك وأحطل عواطفى لما هدديت الى أنني قد وجدت
ضالتي ، لقد كنت عازما عن الزواج أما بعد أن قابلتك فاني أستهيه
وأرجو أن تقبليني زوجا .

وسرت في جنبها قشعريرة وقالت في صوت مضطرب :

— إن ماساتي قد مست مكان العطف منك ، أنك تعطف
على

فقال في حماسة :

— أبدا ، أنني قد أحببتك . أحببتك حبا صادقا ، وأنه لما
يشرفني أن تكوني لي زوجة .

فقلت في دهش :

— أتعرض الزواج على سيدة لا تعرف حتى اسمها ؟

فقال وهو يدهق منها :

— وما يهمني من اسمها إذا كانت روعي عشقت روحها ؟ إذا كنت قد أحسست أنني لها وإنها لي ؟ أنا واثق أننا سنسعد معا ، لا تستسلمي لياسك ، حاولي أن تعاودي بنا عش جديد وأن تملئي به حبا وسعادة . أنت زاهرة بأجل ما في الوجود من مشاعر . . اسعدي بها . . حرام عليك أن تحطمي هناعك وهنائي .

فقلت له في انفعال :

— آسفة ان كنت لم أقدم لك نفسي بالأمس ، أنا جاكين توفيق : أنا مسيحية وأنت مسلم .

— حتى هذا لا يحول بيننا ، أنت مؤمنة بالله وأنا مؤمن بالله ، ألا يكفي هذا ؟ أجل يكفي أننا مؤمنان وأن روحينا قد اتلفتنا . أقسم لك بحي أن روعي لم تنجذب أبدا إلى روح كما انجذبت إليك . اتبلي ما أعرضه عليك أرجوك من أجل ومن أجلك .

فقلت وقد أطرقت وأسبلت جفنيها على عينيها :

— آسفة لن أتزوج أبدا ، سأظل ما حييت أرملة من فلسطين .

فقال في انفعال :

— أن كل ما مر بك وهم من الأوهام ، أضغاث أحلام . . أما الحقيقة فهي أنني لك وأنت لي ، لقد وجدنا نفسيما فلماذا نضيعهما .

ورأي الدموع تنهمر على خديها فعقد لسانه . . لم يكن يدرى أهى دموع الفرح ؟ أهى دموع الأسى ؟ أخرج شعورها لما قال لها أن كل ما مر بها وهم من الأوهام ؟ وجعل يرمقها في قلق فأنفاسها تمد له يدها وتقول :

— ان كنت تبغى صداقتى فعندى الا تعود ابدا الى هذا الموضوع .

وظل ينظر الى اليد الممدودة اليه وهو حائر . . ايرفضها ؟
ايقبل شرطها الجائر ثمنا لصداقتها ؟ انه اصبح لا يستطيع العيش بدونها . . يكتفيه ان يكون بالقرب منها ، والى يده تمقد الى يدها وتصافحها ، ولم تكتف بذلك بل قالت :

— قل اقسم بالاله الذى اؤمن به الا اعود ابدا الى هذا الموضوع .

فقال فى صوت خافت زلزل بالاسى :

— اقسم بالله العظيم الا اعود ابدا الى هذا الموضوع .

واطرق ساهما ثم نهض مستأذنا ، فقامت له وهى تودعه :

— تفضل فى اى وقت ، بيتى مفتوح لك .

وهبط الى الشارع ولم يتجه الى سيارته ، فقد راح يضرب فى الطرقات على غير هدى وهو ساخط على نفسه الانه قبل ان يقسم ذلك القسم الغليظ بعد ان وجد من عشقتها روحه وخفق بحبها قلبه ، ولم ينتشع غضبه الا بعد ان راح يؤكد لنفسه بانه سيحزن فى قسمه لو قبلته يوما زوجا لها ، وهو يأمل كثيرا فيما ستجرى به المقادير ، فلم يكن لقاؤهما عبثا . . وانها لقسوة ان يكتب عليه ان تصبح ليلة عرسه مائمه حبه .

كشك الموسيقى

رحلت اضرب في الطريق الهاديء وحدي وأنا احتفى بالجدران
من لسمع الشمس . كان اليوم من أيام يونية القائظة ، وكنت في
طريقي لأول مرة الى منزل صديقي حمدي الذي دعاني للغداء
عنده ، وهو صديق تعرفت به أخيراً ولكن سرعان ما توطدت بيننا
أواصر الصداقة .

ووصلت الى الفيلا الانيقة القابعة في نهاية الطريق وقد أولت
ظهرها صحراء مصر الجديدة ، فوقفت أجفأ عرقى وأصلح
هندامى ، ثم مددت يدي وضغمت على الجرس ، عما هي الا لحظات
حتى أقبل خادم نوبى في ثياب بيض ، وقادنى الى غرفة نسقت
نفسىفا بديعاً وقد زينت بأوحاش جميلة ، فقصت لى مقعد وثير
وبدأت مبنأى تجولان فى الغرفة . ولكن بلغ أذنى وقع أقدام
تقترب ، فالتفت صوب الباب فإذا بحمدى بقمته الطويلة ووجهه
الأسمر وشمره الأسود اللامع يقبل على ويرحب بى وقد فتح
ذراعيه :

— أهلا .. أهلا ..

وتصانحنأ ، وما كدت أجلس حتى لمحت زوجته مقبلة ، وأخذت
المسافة التى تفصل بيننا تقصر ، وأخذت ملامحها تتضح لى ، فإذا
بقلبي يتفرد فى شدة وإذا بالدماء الحارة تتدفق فى عروقى ، وإذا

بالعرق يتصبب من وجهى فأخرج منديلنى واجففه ثم أدسه فى
سرعة فى جيبى .

ونهضت ومددت يدى الأصابع يدها الممدودة الى وأنا مأخوذ ،
ومس أذنى صوت حمدي مسنا غريبا وهو يقول :

— زوجتى فتحية .. صديقى على .

فقلت فى صوت أجش يتحشرج :

— تشرفنا ..

وجلسنا وراح حمدي يتحدث ، ولكنى كنت مشغولا بالمشاعر
التي استيقظت فى أعماقى وباختلاس النظر الى الزوجة ، وثلاقت
عيوننا مرة فأشرق وجهها بابتسامة ففضضت من بصرى سريما ..
وقد ازداد وجيب قلبى وربا اضطرابى .

واستمر حمدي فى حديثه وأنا أشاركه بإيماءة من راسى
أو بسملة انتزعته من بين شفتى ، ونهضت الزوجة وغادرت الغرفة
فإذا بصنى تلصصان خلفها ، وغابت عنا قليلا ثم عادت تقول :

— تفضلا ..

فنهضنا وانطلقنا الى المائدة ، وجلست صامتا وكأنها أراد
حمدي أن يخرجنى من صمتى فقال :

— قرأت فتحية روايتك الاخيرة التى اهديتها لى ، وقد اختلفنا
فيها ..

فدق قلبى فى عنف وأرهفت حواسى ، وقلت وأنا أنظر الى
حمدي :

— وغيم اختلافكما ؟

فقال فتحية :

— قال حمدي أنها قصة حياتك ، وقلت أنها قصة من الحياة
ولكنها ليست قصة حياة المؤلف .

- مالأتمت اليها وقلعت متخافتا :
- وما الذى جعلك تقرر اني لست قصة حياة المؤلف ؟ .
- فأذا بها تقول في ثبات دون ان يخلج لها طرف :
- ظهرت الصناعة في بعض مواقف الحب ، بينا ان المؤلف الذى يروى قصة حياته يرويها في بساطة وحرارة وصدق .
- فتال حمدي في ثقة :
- انها قصة حياتك ولا شك ..
- فتأت وعيناي تنتقلان من وجه حمدي لتستقرا قليلا علي وجهها :
- انها ليست قصة حياتي ، بل هي قصة حياة صديق عشت معه سنين طويلة ..
- وساد الصمت لحظة تبادل فيها الزوجان النظرات ، ثم قالت فتحية :
- اني عاتبة علي قصاصينا ..
- فقالت وانا أنظر اليها :
- لماذا ؟
- لان أحداثا هامة كثيرة تمر بهم دون ان يسجلوها .
- لعل تلك الأحداث التي تظنيها ذات خطر ليست هامة من وجهة نظرهم ، فالحادثة الهامة عند القصاص هي التي تحرك وجدانه وتلهمه وان بدت لغيره من الناس تافهة لا تستحق التفانا .
- فتالت فتحية وهي تبسم :
- ما قصدت غير هذا ..
- يقال حمدي :
- اضربى لنا مثلا .

فمالت الى الخلف وقالت وهى تنظر الى بعينيهما الواسعتين
وقد توهج فيهما بريق :

— كشك الموسيقى فى حديقة الازبكية . . هل مررت به بعد ان
شق الطريق الجديد الحديقة هل رأيته وقد القى ذليلا ؟ ألا تربطك
به ذكريات حبيبة ؟ لماذا لا تسجل ما يبعثه الكشك فى نفسك من
مشاعر واحساسات ؟!

ولمحت بسمة خبيثة تولد على طرف فمها ، فاضطربت واشتد
وجيب قلبي وتقصص العرق منى حتى احساست به يجرى فى ظهري ،
وهمت ان اتكلم ولكننى لم اجد لسانى . وزاد فى ارتباكى نظراتها
الخبيثة التى تنضح بها عيناها ، فاطرقت قليلا استجمع نفسى التى
ذهبت شعاعا ، حتى اذا ما أفرخ روعى قليلا قلت :

— فكرة بدیعة .

فاسترسلت فى حديثها :

— اظن انك عاصرت « صالة سائتى » وموسيقى الصياد .

— أنى عاصرتها من غير شك ، واحسب انك سمعت من هذه
الحقبة . .

ومضحتنى نظراتى التى كنت اصوبها اليها فلم ترتبك بل ظلت
هادئة وقالت فى ثبات :

— بل كنت شابة فى ذلك الزمن ، وكنت اداوم على الذهاب الى
حديقة الازبكية عصر يوم الأحد لاصغى الى موسيقى الصياد . .
وقال حمدي وهو يضحك :

— كل ما اذكره عن كشك الموسيقى اننى قرأت فى الصحف يوما
دعوة لاجتماع الراسبين فى البكالوريا عند الكشك وكنت من
الراسبين ، فذهبت اليه لاجتمع برفقائى الخائبين .

والتفتت إلى فتحية وقالت :

— لماذا لا تكتب للسينما قصة حياة الصياد ؟ ..

فقلت في دهش :

— أظن أن حياته تصلح لتكون موضوعا سينمائيا ؟

فقلت وهي تنظر إلىّ في استخفاف :

— وهل كانت حياة فيليب سوسة تصلح لتكون موضوعا سينمائيا ، أظن ماذا فعلوا من موسيقاه ، أنهم يقدرّون فنانيهم ويتفنّنون في إبراز جوانب عظمتهم .

— كان من الميسور على واضح قصة حياة سوسة أن يجد قصة حب تدور حولها القصة أما من يقصدي لكتابة قصة حياة الصياد فسيقاسي الأمرين إذا ما فكر في قصة الحب التي سينسج حولها روايته ، لأن المرأة المصرية في عصره لم يكن لها أثر في المجتمع ..

ورمتني بنظرة فهمت مرماها فاطرقت وراح العرق يتصبب مني ، وكأنها عز عليها أن تتركني أنفاس فقالت في سخرية :

— من يسمعك يحسب أن الصياد وجد في القرن التاسع عشر ، أنا — أنا وانت وحيد من عاصروه — أو ليست لأحدنا قصة حب يمكن أن تكون الخيط الذي ينسج منه المؤلف قصة حياة الصياد ؟ .

وخفق قلبي في شدة ، وانتشر القلق في جوفى فاطرقت لأتحمى نظراتها التي كانت تزيد في ارتباكى . وساد الصمت برهة كأنما كان كل منا يستجمع قواه للجولة الثانية ، وإذا بصوت حمدي يقطع السكون فيقول :

— على ذكر الحب ، قل لي ما هي دلائل الحب ؟

فقلت وأنا أنصنع الهدوء :

— هي أن نطلب المعاذير لأخطاء من نحب .
 فتأملت فتحية دون أن تضطرب أو يتهدج صوتها :
 — بل خير دليل على الحب هو الفرار من نحب .
 فأخذت وأحسست جفافاً في حلقى ، وخيل إلى أننى أصبحت
 كفأراً في مصيدة فجعلت أتلقت دون سبب وعقد لسانى ، ومن حسن
 حظى قال حمدى منفعلاً :
 — لا ، هذا ليس رأيك فى الحب ، هذا رأى جديد .
 فتأملت له وهى تبسم :
 — أنك تعرف اننى لا أحب الجمود ، واننى من عشاق التجديد
 فى أمكارى ..
 ورأيت أن أشتبك فى الحديث حتى لا يظن حمدى الى ما
 اعترائنى من اضطراب ، فقلت له وأنا أنكلفه الابتسام :
 — وماذا كان رأيها فى الحب قبل الساعة ؟
 فتألم حمدى وهو يرمقها بطرف عينه :
 — كانت ترى أن الهدية هى خير معبر عن الحب ..
 فتأملت وهى تضحك :
 — ما أيسر الربط بين الرايين ، فى غورات الحب الأولى يكون
 الفرار من نحب دليل الحب ، أما إذا هذا الحب واستقر فالهدايا
 هى مقياس الحب ..
 لنال حمدى فى حماسة :
 — اننى لا أوافق على هذا أبداً .
 — قل الصدق ولا تكنه ، أما كنت تهابنى وتحاول أن تفر منى
 بعد أن تعارفنا قبل أن نتزوج ؟
 — أحسست قلبى يغوص فى قديمى والدماء تتدفق حارة فى

شراييني ، واتسعت عيناى ولننى اضطراب ولم اتو على كنم ما بى ،
فدفعنت الكرسي الى الخلف ونهضت فقال لى حمدى :

— كل . . انك لم تاكل شيئا .

فقلت فى صوت متهدج :

— شكرا فقد شبعتم .

وانسحبت بعيدا لأهرب من نظراتها التى كانت تبعث بى ،
وتخز روحى ، ولأجمع شتات نفسى وأتأهب لطفى لذعاتها التى كانت
تسددها الى كالسهم .

وانتقلنا الى غرفة الاستقبال واسترخيت ، وكانما عز عليها ان
تدعنى استريح فأدأمت النظر الى ثم قالت :

— يخيلى الى أننى رايتك قبل اليوم .

فامتدلت مذعورا . . اننى أعرفها جريئة ولكنى ما كنت أظنها
تتمادى الى هذا الحد ، ظفنت ساعة أن قدمنى زوجها اليها أن
السفن الطويلة التى تقضت منذ كنا جارين صغيرين نلهو ونعبث
قد بدلتها ، فإذا بها ما زالت طائشة كمهدى بها فقلت :

— لا أظن أننا تقابلنا قبل اليوم .

وهمت بالكلام ، وتلاقت عيوننا فقرأت فى عيني توسلاتى
اليها أن تكف عن ذلك العبث فلم تأبه بى ، بل استمرت فى وخزى
وقالت :

— لعلى رأيت صورتك فى كتاب من كتبك .

فقال حمدى :

— انه لم ينشر صورته فى أى من كتبه . .

ورأيت أن خير ما أفعله ألا أترك لها فرصة للحديث ، فعزمت
على أن أثثر وأن استمر فى الثثرة ، ثم استأذن فى الانصراف

قبل أن ترميني بأسئلتها الخبيثة التى تشيع الاضطراب فى أوصالى
نقلت :

— لست من المؤمنين بنشر صور المؤلفين ، فالقراء يرسمون
للمؤلف فى أخیلتهم صورة ما فاذا ما رأوا صورته صدمتهم
الحقیة ، اننى اذكر اننى كنت فى إحدى المكتبات يوما وقت أن جاء
أحد أصحاب المكتبات العراقیین يشتري بعض كتبی . كان يطلب
بعض مئات من كل كتاب ، وظن عامل المكتبة أنه اذا قام بتقديمى
الى الرجل فإنه يسدى الى خدمة ، فقال للرجل وكان يرتدى جبة
خضراء وعمامته خضراء تزين وجهه لحية سوداء مستديرة :

— حضرته مؤلف هذه الكتب .

فالتفت الرجل الىّ ثم قال فى انكار :

— أبدا ، ان مؤلف هذه الكتب رجل مسن ذو لحية بيضاء .

وأصر عامل المكتبة على اننى المؤلف .. وبانت فى ملامح
الرجل خيبة الأمل . ثم ظهر الأثر العملى لكشفه شخصيتى فهبط
العدد الذى كان يطلبه من كتبی الى رقم لا يتجاوز أصابع اليد
الواحدة عددا .

ثم التفت اليها مضطربا فاذا بها تتحفظ للكلام فتناصرت الى
نفسى واتكمشت ، وقبل أن تتحرك شفتاها نهض حمدي وأنصرف
من الغرفة وتركنا مفتردين ، فقلت فى هدوء :

— ما الذى جاء بك اليوم ؟

— دعائى حمدي للغداء .

— أكننت تعرف أنك مستلقانى . . ؟

— لم يدر بخلدى . .

فقلت هازئة :

— أنا واثقة من ذلك ، فلو كنت تعرفت ما جئت .

— لماذا ؟

— لأنك ما زلت تخشاني . . تفضل الفرار مني على مواجهتي .

مقلت في ارتباك :

— أبدا . .

مقالت في دهش :

— ماذا دهاك ؟ أين لسائك الذرب الذي كان يطلق السباب

كالقذائف ؟

مقلت في تخاذل :

— أدركه الهرم . . أصبح يتعثر .

ولاحث حمدي مقبلا فنهضت مستأذنا في الانصراف ، وصافحته

ثم مددت يدي إليها فأحسست يدها تضغط على يدي ، وخيل إلى

أن عينيها تصيحان بي في هزة :

« ما زلت تخشاني . . ستفر مني كما كنت تفر » .

فارتبكت وغضضت من بصرى ، وإذا بصوتها يمس أذني

هادئا وإن أوحى ذبذباته بالسخرية :

— فرجو إن تشرقنا بزيارتك .

فضممت :

— متشكر . . متشكر .

ثم انصرفت وأنا مضطرب النفس مأخوذ ، ترن في أذني

لذعاتها ، وتتخايل لعيني بسبباتها ، فترفع حرارتي ويربو

اضطرابي .

وبلغت داري وتمددت في مقعد طويل ، فإذا بخيال فتحية

يحتل رأسي ، وإذا بصوتها يرن في أغواري « كشكك الموسيقى . .

صالَة سافَتى .. موسيقى الصياد .. خير دليل على الحب هو
الفرار من تحب .. انك تفضل الفرار منى على مواجهتى « .
وطفت الذكريات على سطح ذهنى وتهكت اسجاف الماضى ،
فاذا بى ارى فتحية بقامتها المتناسقة وقد ثبتت — كمعادتها — قاعدة
حقبة كتبها على طرف عجيزتها واسندتها بذراعها ، تنطلق رشيقه
كالغزال فى الطريق الموصل الى دارينا ، فقد كانت دارها على مرمى
حجر من دارنا .

ورأيت نفسى أسير على بعد خطوات منها اختلس النظر الى
بديع تكوينها ، كانت فى السادسة عشرة ، معتدلة القامة سوداء
الشعر والعينين خمرة اللون ، تمتاز بأثوثة طافية . وكنت فى
السادسة عشرة تتأجج فى صدرى ثورة عارمة يكبح جماحها ذلك
الخجل الذى كان يستبد بى ويعقد لسائى اذا ما تلاقت عيناي بعينى
هتاة ! ..

وجدت نفسى امام فتحية وجها لوجه أكثر من مرة ، قابلتها
وهى حاريجة من مدرستها الفرنسية فتظاهرت بالارتباك لسيورها
وسط فتيات صغيرات ، ثم ابتسمت لى ولكنى لم أجرو على ان
أبادلها الابتسام وأن كنت فى قرارة نفسى اشتهى ذلك وأتمناه .

ونالقينا مرة فوق سطح دارنا ، فجعلت تغدو وتروح امامى فى
ثوب منزلى بسيط يبرز مفاتيها ، فثارت مشاعرى وراودتنى فكرة
تحقيقها والتقدم اليها لأنعم بحديثها ، ولكن خجلى أورثنى ضعفا
فراح قلبى يدق فى عنف ومصرى فى بدنى اضطراب . وكأنيما أرادت
أن تشد أزرى غبدأتنى بالتحية ، فاومات لها براسى وماتت على
شفتى الكلمات .

والنقينا ذات ليلة مصادفة فى الطريق الهادىء الموصل الى

دارينا ، كنت عائدا من السينما وكانت تستير على بعد خطوات منى ، والتفتت خلفها فلمحتنى مخففت من خطوها لالحق بها واحيها واجاذبها الحديث ، مما كان من الطريق غيرنا ، ولكن شجاعتي خائفتى وانتشرت الرهبة من جوفى وخفق قلبى وسرى منى بدنى الاضطراب ، فضيقت خطاى حتى دلفت الى دارها ، وزحفت الى دارى وأنا حانق على نفسى ضائق بذلك الضعف الذى يستبد بى كلما هببت بمحادثة فتاة !

وسأقت فتحية بخجلى ولم تستطع الصبر حتى تحل عقدة لسائى ، وما كانت تستطيع أن تعيش بلا صديق فتوطدت بينها وبين فريد أحد رفاقى أوامر الصداقة .. صارا يخرجان معا اذا اقبل المساء يجولان فى الطرقات التى تعجز المصابيح الخافتة عن تبديد ظلالها ، او يذهبان الى السينما ، وقد رأيت أكثر من مرة يتأبط ذراعها فكان قلبى يدوى من عنف بين ضلوعى ، وأمر مقبلا خشية أن يلحقانى ! ..

ورأيتها ذات يوم تدخل بيت صديقى فى وضوح النهار ، فأحسبت غصة من حلقى ومرارة منى منى ، ثم لويت شفتى منى اسمناز ..

والتقينا بعدها وجها لوجه فلم اضطرب ولم يخفق مؤادى ولم تتدفق الدماء حارة من عروقى ، ولأول مرة حلت عقدة لسائى فركبتها بسخريتى حتى وسعت خطوها فرارا منى ، وخيل الى اننى لم أعد أهابها بعد أن تقوض الصرح المقدس الذى أتمته لها فى خيالى .

رسمت فريد فهجرتة ، وسرعان ما صادفت فهمى بعد أن تركت فريد يتلظى بنار البعاد ، وكانت ترقبه وهو يفرع الطريق جيئة

وذهابا تحت شباكها وهو محطم القلب فكانت تشمخ برأسها في
استعلاء ، أرضى غرورها أن تجد شايها مطرودا من نعيمها يتهافت
عليها هافت الفراش في النار الآ

وصعدت يوما إلى سطح دارها ، وما هي إلا دقائق حتى لمحتها
صاعدة فلم تسر في بدني تلك الرعدة التي كانت تسرى فيه كلما
رايتها ، وكانت في يدي وزدة حمراء فشممتها ووضعتها على سور
السطح ، واقتربت مني وحيقتني فرددت عليها تحيتها وأنا انظاها
بعدم الاكتراث ، ولحت في صدرها دبوسا على شكل حرف (ف)
نقلت لها في سخرية :

— أيرمز هذا الدبوس إلى فريد أو إلى فهمي ؟

فراحت تسير أمامي وهي تتمايل في دلال ، فبدأت الدماء
الحارة تتدفق في عروقي وشارت في نفسي رغبات ، ولكنني أخذت
في كبح حماجها وقلت :

— يخيّل إلى أنك تختارين أصدقاؤك ممن تبدأ أسماؤهم بحرف
(ف) .

فقالته وهي تسير في خطوات أقرب إلى الرقص :

— وماذا في ذلك ؟

— لا شيء .. كل ما في الأمر أنني أحمّد الله أن اسمي لا يبدأ
بهذا الحرف ! ..

وبالغت في تمايلها فراح كل ما فيها يرقص ، فقلت لها وأنا
أحاول أن أبدو هادئا :

— قد يدبر هذا الدلال رأس فريد أو رأس فهمي .

ومى الحق بدا رأسي يدور ، ولو طاوعت نفسي لشممتها إلى
صدرى .. ولكنني كنت أصارع مشاعري المتفجرة في أعماقي ،

ومدت يدها وأخذت الوردة وراحت تقطف بمض أوراقها فقلت لها :

— وماذا تفعلين ؟

— اهذبها ، وأرجو أن أوفق في تهذيب صاحبها .

فقلت لها وأنا ابتسم في استخفاف :

— هيهات . .

وقدمت إلى الوردة فأخذتها منها ، وكدت أضرف وأستشمرت
أن مقاومتي كادت تنهار ، فقفزت بالوردة من السطح ثم وليت
الفرار . .

وخرجت مع فهمي في الليل والنهار ، وانطلقا معا يجوبان
الطرق الهادئة وقد تشابكت الأيدي وهمست الشفاه وتحدثت
العيون . . ومرت الأيام ودعب السأم في نفسي فطردت فهمي من
جنتها وراحت تنقب عن عابد جديد . .

وفي يوم وقفة عيد الأضحى صعدت إلى سطح دارها ، فالفيتها .
تلف ذراعها حول رقبة خروقة العيد فقلت لها :

— لابد أن اسمه يبدأ بحرف « ف » . . فيفي مثلاً .

فغالت وهي تنظر إلى بعبيها السوداوين النجلاوين :

— ولماذا ؟

— لأنه صديقك الجديد .

فابتسمت وقالت :

— أتغار منه ؟

نقلت في قسوة :

— ليس بيئي وبينك ما يدعو إلى الغيرة ، ولكنني أعجب .

— تعجب من ماذا ؟

— من استبدالك خروفاً بخروقة ، وإن أخيرهم لخيرهم جميعاً .

فلم تغضب ، بل اجتمعت وقالت :

— ولماذا ؟

— لأنه ليس له عقل ليفطن الى أنك تدليلينه ثم تذبحينه .

نلاح الغرورنى عينيها وقالت :

— اننى لا افعل ذلك الا مع الخراف .

وراحت الشمس تغيب فى الأفق البعيد ، فسارت صوب السلم

لتهبط فيه ثم التفت الى وقالت :

— كل سنة وانت بخير . .

— وانت بخير . . والسنة اللى جايه تضحين بأربعة خرافة ؟

وانقضى العيد ، وفى ذات ليلة سرت تحت شباكها دون أن

المحها واذا بصوتها يمس أذنى :

— أتر هكذا دون أن تلقى تحية ؟ . .

فوقفت ورفعت رأسى اليها فرأيت على ضوء المصباح الخافت

بسمه ، قبعة تولد على شفقتها فقلت :

— مساء الخير .

— مساء القور . . فدا فى العاشرة صباحا سنانتظرك عند كشك

الموسيقى محديقة الأريكة .

وانطلقت فى طريقى وقد اخذ قلبى يخفق بين ضلوعى وأرهفت

حواسى ، وهب شيطانى يزىن لى الذهاب للقيها والنعيم بقربها

وليكن بعد ذلك ما يكون . .

ودخلت فراشى وأنا قلق أرق يتنازعنى وحدانى وأصغيت

سمعى لصوت عقلى فراح يقول لى : انها ستذيقك طعم السعادة

أياما ثم تافظلك لفظة النواة وتتركك حليفة الضنى والمستهاد وهى

تنظر أنيك متلذذة سعيدة بلوعتك منقشية لاتصنارها عليك ، فلماذا

تنقاد اليها لحظات هنية يعقبها حشرات طويلة وهم مقيم ، فاستمر
الكثير القليل .

وبت تلك الليلة وأنا أتقلب في فراشي كأنما أتقلب على جمر
وإن كنت قد عذمت في أعماقي على الفرار منها لأتجو بنفسى .
وأشرق شمس اليوم الموعود فإذا بشيطاني يستيظ
ويوسوس في صدري ويغريني بالذهاب ، فاليوم لنا وغدا يتكفل
بنفسه . وخشيت أن ينتصر على شيطاني فصحت فيه : لن أسير
يقدمي إلى حظيرة الخراف أبدا .

وهبت حواسي تشد أزر شيطاني فإذا بمشاعر رقيقة حاملة
تنبثق في أغوارى ، وخفت أن تنذك مقاومتي وأن يتودنى ضمعي
إلى حتى بظلفي فهرعت إلى أبي الوذ به ، قلت له :

— في سينما تريومف رواية رائعة واليوم آخر أيامها ، أرى
أن نذهب لمشاهدتها في عرض الساعة العاشرة .

وما زلت به حتى وافق فأفرخ روعى ، فلن يقو شيطاني على
أن يتودنى إليها بعد أن ارتبطت مع أبي بيميناد !

وفي عصر ذلك اليوم أحسست رغبة في الانطلاق إلى حديقة
الأريكية ، فذهبت إلى هناك واتجهت إلى كشك الموسيقى ورحت
أصغى إلى موسيقى الصياد وفي القلب فرحة ، فقد أسعدنى أننى
أغدو وأروح طليقا وأننى لم أسلم لها زمام امرى لتتودنى إلى الذل
والهوان ..

وهمس في أغوارى هامس : إن مجيئك إلى هنا دليل على أنك
أسيرها . . لماذا جئت إلى كشك الموسيقى وما كنت تذهب إليه من
قبل ؟ لقد استجبت لوحيا ، فإذا كنت قد هربت منها في الصباح

فقد جئت في المساء . وضقت بذلك الهامس فأخذت أحاول
اسكاته ، وطفقت أسمى الأفع نفسي أننى نشوان .

وتحاشيت مقابلتها فلم أعد أصعد الى سطح دارها ، وصرت
أمر من طريق آخر غير ذلك الطريق الذى تطل عليه نافذتها
المفضلة . وكنت أرى من شرفتى فريد وفتى وهما يحومان حول
دارها ذليلين حطمهما الهوى ، فكنت أحمد الله أننى لم أذعن
لشيطانى وأرتى فى أحضان تلك الفتنة العابثة العاتبة .

والثقتنا مصادمة وجها لوجه ، فسرت رعدة فى أوصالى وراح
غلبى يدي فى رعونة ، واستشعرت جففا فى حلقى واضطربت
أنفاسى واتسعت عيناي . . وحيثنى بإيذاء من رأسها وأشرق
وجهها بالإبشام ، وانطلقنا جنبا الى جنب . لم تعاتبنى لأننى لم
أذهب الى كئيك الموسيقى فى الميعاد ، ولم تشر الى ذلك الموضوع
من قريب أو بعيد كأنها لم يحدث منى شيء ، فانتظم نفسى ورد الى
طبعى ، وظللنا فى سيرنا حتى دنونا من دارها فقلت لى :
- اننى ذاهبة الليلة لسماع أم كلثوم فى صالة سائتى .

رمطنت الى أنها تواهدنى على اللقاء هناك ولكننى لم أنبسر
بكلمة . ودلفيت الى دارها بعد أن حيثنى ، وانطلقت الى دارى وأنا
هادىء النفس لم يستيفظ شيطانى ، وظلت مشاعرى فى سبات ولم
يصبح صدرى مسرحا لصراع رغباتى المتضاربة ، فما كنت فى
ذلك الوقت أجرو على المغيب من الدار بعد التاسعة مساء . .

وفى عصر اليوم التالى هربت الى حديقة الأريكة وصعدت
الى صالة سائتى وجعلت أتجول فى جنباتها ، وتقتضت أيام
واستشعرت حنينا إليها ، واستبدت بى رغبة مقابلتها فهممت
بالذهاب الى سطح دارها ، وانتهز شيطانى فرصة استئانة كبريائى

فراح يحرضنى على البوح لها بحبى . وكنت اركن الى وسوساته
واذا متناومتى تهب من رقادها تصرخ بى ان اضع حدا لضغفى
وان اقضى على ذلك العبث لاقتثل نفسى من البوار . .

وفكرت وامعنت الفكر ودبرت كل شئ ، حتى اذا ما خيم الظلام
خرجت انقب عن فتاة كنت أعرفها ، فلما قابلتها سرت معها وانا
اقودها لانفذ ما دبرت .

ووصلنا الى الطريق الهادى الذى تطل عليه نافذتها
فاستشعرت رهبة وكنت ادور على عقبى واعود من حيث جئت ،
ولكنى اخذت اتقدم حتى وقفنا تحت المصباح القريب منها . ولحقتها
تنظر الينا فاضطربت ولكننى لم احجم عن انفاذ ما حزمته عليه
امرى ، فضممت الفتاة الى وقبلتها . . فغلقت فتحية شباكها بى
عنف ، فالتح صدرى واحسست احساس الفاجى من الغرق بعد
ان حسيت ان كل ما بينى وبينها قد انتهى . .

ولكن تصرمت الايام ولم تخمد ثورة روحى ، بل كانت تزداد
تأججا وضرا . . وطفى وجدى واستبد بى شوق قوطدت العزم
على الذهاب اليها ابثها حبى ، وأروى ذلك الظما الذى احسه فى
اغوار مناعرى . . فلما اذا احكم على نفسى بالموت عطشا والرى
مبذول لى ؟؟

وارتديت ثيابى وبالغت فى تأنقى ، ثم هرعت الى دارها خافق
القلب . وقبل ان اصعد الى السطح علمت انهم رحلوا وغادروا
الحى ، فانصرفت منقبض النفس كسفير الفؤاد . .

رحلت انقب عنها فى كل مكان . . كنت اذهب الى حديقة
الازليكية فى الغدو والاصال لعلى القاها ولكن هيهات ، وكنت كلما
ذهبت الى السيتما ادور بعينى فى ارجائها ابحث عنها هنا وهناك

دون جدوى ، فغيب اليأس فى قلبى وحدثت على نفسى وتمقيت
لو أننى أطلعت شيطانى ورويت ظمأ روحى واسترحت مما أنا فيه
من عذاب ، فالنار التى تظلى فى أحشائى أشد قسوة من نار الهجر
بعد الوصال .

وطغنت النفس على أن أعيب من كأسها إذا قابلتها ولن أحفل
بما يكون — فقد كان كل همى أن أسكت حواسى التى كانت تؤرقنى
وتخزنى بخزا ما أقساه ..

وتقضت السنون ، وقد غابت عنى كما تغيب القطرة فى المحيط
.. ولم تجسنا الا صدمة اليوم . كنت أحسب أن عاطفتى نحوها
قد ماتت فإذا بلقائنا يؤكد لى أن النار الخابية تحت الرماد سرعان
ما تتأرجح إذا نفخ فيها نافخ أو حركها عود .

وخطر لى خاطر خفق له قلبى : ترى لو دعتنى بعد تلك السنين
الطويلة التى تفصل بيننا ، أهرع إليها ملبيا دعونها ؟ . وهزرت
راسى لأنيق من الحلم الذى ميث بأوتار فؤادى ، وجعل الدم
الحار يتدفق فى عروقى بعد طول ركود .

واسأللت ستار النسيان على ذلك الماضى ، ولكن ما أن مرت
ثلاثة أيام على لقائى بهما فى بيت زوجها حتى دق التليفون فى
مكتبى ، وإذا بصوت رقيق يمس أذنى .. فاضطربت وانبهرت
أنفاسى وتصبب العرق منى .. كانت فتحية تخبرنى أنها ذاهبة
وحدها فى المساء الى سينما كريستال ، فلما سألتها عن حمدى
أبأتنى أنه غائب الليلة فقد سافر الى الاسكندرية .

ووضعت سماعة التليفون وأنا خافق القلب ، وراحت الأفكار
تقتال على راسى .. واستيقظ شيطانى يصرخ بى أن الفرصة التى
عشت أوتبها سنين طويلة قد سطحت فعلى ألا أدعها تنساب من بين

اصابعى ، وأن أروى عطشى واشبع جوعى وأطفىء تلك النار
المتأججة فى أحشائى ، فاستقر رأيى على أن أذهب للقياها ..
وبدأت الشمس فى الغروب فانتابنى قلق ولغتنى حسيرة ،
وأرمنت حواسى ودق قلبى وجعلت أزفر فى صسوت مسموع ،
وانبثقت فى جوفى مشاعر متباينة متصارعة ، فانطلقت الى زوجتى
لاقتسل روحى من تلك الدوامة التى أدور فيها وقلت لها .
— اننا ذاهبان الليلة الى سينما متروبول .

وخرجت أنا وزوجى وسرنا فى الشارع الجديد الذى شق فى
حديقة الأزيكية ، فلما وقع بصرى على كشك الموسيقى الملقى على
جانب الطريق فى إهمال كامرأة عجوز ، أحسست غصة فى حلقى
ودمعة تترقرق فى مقلتى .. وانطلقت صامتة أمضغ حزنى وحدى
.. حتى إذا بلغنا شارع فؤاد وقفت زوجى تنظر فى واجهات
المحال .. ووقع بصرى على مرآة قريبة منى فادمت النظر الى
وجهى ، فلما لمحت تلك الشمرات البيضاء التى نبتت فى رأسى
استشعرت أسى ، وتيقنت أننى أصبحت أعيش على هامش الحياة
ككشك الموسيقى القابع الآن فى ذلة على جانب الطريق .. بعد أن
كان ينمض بالقوة ويبعث فى النفوس الأمل ..

الجوع

— شريفة .. أليس عندك ما آكله ؟ انى أموت من الجوع .

ودوى الصوت فى جنبات الحجرة — وان كان قد خرج من بين شفتى الأم المعجوز التى جدل الشعر الأبيض رأسها وكسا الهزال عظمها — خافتا واهنا ، والتفتت شريفة بعينين زائفتين الى حيث كانت امها وصراخ بطنها يطغى على جلبة السيارات وجلجلة الترام وضوضاء العربات المنطلقة فى شوارع الفجالة ، والتى كانت عجالاتها ترى من النافذة الوحيدة العالية التى يتسلل الضوء منها ، فقد كانت الغرفة ضاربة فى بطن الارض ينزل اليها بدرجات من حجر تكتل الأقدام الحافية والاحذية البالية .

ونهضت شريفة فى تراخ .. وكانت على يقين من أن البيت قد خلا من كل ما يؤكل ، فقد بحثت ونقبت بالأمس لما جن الليل عن كسرة خبز ولم تجد شيئا .. ونامت طائوية وقد ضغطت بطنها ببطن امها الخاوية ، بيد أنها راحت تنظف فى يأس قلم قر الا الجنادب تندفع من الثقوب المنتشرة فى كل مكان من الجدار الى الحصيرة المزقة التى تغطى جزءا من الارض السوداء ، تجذب

منها اموادا تحملها الى جحورها ، وصنومنا من النمل في غدو
ورواح ورواح في حركة دائبة .

ودناقت بأرجاء الحجرة . . والتقت عيناها الذابلتان بعيني
أما اللتين كان يبيض سوادهما فغصت وسرى بين ضلوعها البارزة
من تحت جلدها يأس مرير . . الا أنها لم تستسلم له ، بل ذهبت
وهي تجر نفسها جرا الى الصنبور وفتحته وأخذت تغسل وجهها
بالماء القراح ، فقد ذابت آخر قطعة من الصابون هزمت طريقها الى
هذا الخندق منذ شهور . منذ أن قطعت كل صلة تربطها بالبقاع
القريب من مسرح مأساتها .

ومدت يدا نفرت عروقها وتناولت مشطاً لم تبق به الا اسنان
قليلة ، ونظرت الى وجهها في بقايا مرآة كانت مثبتة فوق صنبور
الماء ، وراح المشط يتخلل شعرها وهي شاردة ، ولحمت هلالاً أسود
يحف بأسفل عينيها فدق قلبها فزماً . . انها لم تبلغ الخامسة
والعشرين بعد وقد غاض لونها ولاح الجهد في كل أجوف وفي كل
بارز من محياها : « ما هذا الاصفرار يا شريفة ؟ شفتاك جفتا
وتشققتا . . عيناك خبتا . . أين بريقهما ؟ » . وفرت من أمام المرأة
كأنها نمر من شبح .

براحت تخلع ثوبها الممزق في تخاذل ، وألقت نظرة سريعة على
شميصها فوقع عيناها على ثقوب انتشرت به . وفكرت في أن
تستبدل به آخر ولكنها تذكرت أنها لم تخلع ذلك الآخر الا بعد أن
صار كالجلد من العرق الغزير الذي امتصته ولم تجد معها ما
تشتري به صابوناً لتغسله . فمضغطت بيدها على القميص تبسطه ،
ثم ذهبت الى حيث تحتفظ بالثوب الوحيد الذي تخرج به وتناولته
وأخذت تلبسه في حرص .

وريات الأم ابنتها وهي تسبل ثوب الخروج على الأسمال
الملتصقة بجسدها ، ففطنت الى ما تعتزم أن تفعله ، غنهضت اليها
وسارت تجر نفسها وتقول :
... انى ذاهبة معك يا شريفة ..

وصمتت شريفة ولم تعترض على خروج أمها معها وان كانت
على يقين من أن ذلك الخروج لا جدوى منه ، بل انه يعوق حركتها
وقد مضى الفرص القليلة التى تلوح لها . كانت تفهم ما يدور برأس
العجوز .. انها فى لهفة على أن تطمئن الى أن شيئا ما وشيك
الدخول الى جوفها ليكتم انداس ذلك الغول الذى ينهش حشاياها .
ومررنا الى بئر السلم ولم نحس رطوبة المكان ، ولم تزكم
انفيهما الرائحة المكننة التى تفوح منه ، ولم تتكرا الظلام الذى
تراكم بعضه فوق بعض وان كان النهار قد انصف . فالظلام الذى
ران على روجيهما أثقل من أى ظلام ملأ عيون البشر .

مراحقا ترقيان السلم فى هوداة وان كانتا تترنحان من الوهن
خشية أن تزل القدم ، وخرجتا الى الطريق فبهر الضوء عينى
شريفة ، بينما لم تستشعر الأم شيئا لقد أسبلت جفنيها على عينيها
اللتين كاد سوادهما أن يذهب ، بعد أن علقت ذراعها فى قراع
ابنتها وتركبتها تقودها الى حيث اعتادتا أن تقفا فى مثل هذه
الساعة من النهار .

ولتا وجهيهما شطر ميدان المحطة ، وما سارتا خطوات حتى
كانتا أمام دكان العم سطيحان البقال فالتفت شريفة نفسها عاجزة عن
أن تكبح جماح عينيها من أن تلتفت اليه . كانت فى قرارة نفسها
تمقت أن ترى سحنته البغيضة التى زاد فى الغفور منها ذلك الانف
الضخم ، والعينان الضيقتان اللتان تشعان خبثا ، وتلك الحفرة

الصغيرة المنتشرة في وجهه التي تركها الجدى خلفه ، بيد أن شيئاً ما في أعماقها يرغبها على أن تلوى عنقها نحوه .

رائته بكرشه البارزة وجلبابه الذي يغطي الزيت صدره ، وشاربه الذي تركه يملأ وجهه دون أن يخطر على باله أن يهفيه مرة ، وجاهدت حتى أشاحت بوجهها عنه ووسعت من خطوها وراحت تجر أمها التي أسلمت لها قيادها ، ولم تلتفت ناحية دكان العم سليمان وتبصق كما اعتادت أن تفعل كلما مرت به ، فقد أمت الجوع كل رغبة وقضى على كل شهوة من شهوات الجسد الشهوة طلب القوت الذي يمسك الرمق .

ورصلتا إلى دكان السمك فإذا بهما تقهلان في سيرهما ، ونفذت رائحة السمك إلى خياشيمهما فسال لعايهما . . ومررت الأم لسانها على شففتيها الجافتين ومدت عينيها إلى حيث تشتهي ، فأحسست نكيانها كله يهنو إلى تلك القطع التي تكدست أمام السمك والتي تركزت فيها كل شهواتها وآمالها .

وأحسست شريفة ما أحسست به أمها ، وشعرت كأن يدا قوية لا قلب لها تعتصر أمعاءها اعتصاراً ، وبللت الدموع مقلتيها وراحت نبلع ريقها لتريح تلك الشوكة التي خيل اليها أنها واقفة في حلقها ، ثم جذبت أمها في رلق وهي تقول في صوت خافت مضطرب :

— سنشتري سمكا عند عودتنا .

واستأنفتا سيرهما . « وأين القنود يا شريفة ؟ ! انك خرجت بالأمس كما تخرجين اليوم وكنت تأملين أن تعودى وفي يديك ما يكفيكما أياماً وقد عدت بلا شيء . . كنت بالأمس سيئة الحظ . . أما اليوم فمساعد بما اشترى به السمك . لن يتخلى الحظ مرتين .

السبك ! رائحته اروغ من أزكى عطر . طعمه أشهى . . أتذكرين طعمه يا شريفة ! رائحة العم سليمان قننة ، طعمة . . » وتقلصت عضلات وجهها وأحسست رغبة في أن تبصق ولكنها لم تفعل .

ووصلتا إلى ميدان المحطة ووقفتا على الطوار بالقرب من إشارة المرور وراحتا ترقبان السيارات في اندفاعها وترصدان إشارة المرور ، حتى إذا ما أضاء النور الأحمر ووقفت السيارات القادمة من شارع الجمهورية ابتعدت الأم عن ابنتها وإن كانت ترعاها بعينها وعيون خوالجها وجوارحها ومشاعرها ، فقد أزغت اللحظة التي يتقرر فيها مصيرهما .

وراحت شريفة تستعرض السيارات في قلق ولهفة ، ورات شابا جالسا خلف عجلة القيادة انه وحده . « هذا هو بغيتك يا شريفة . سيارة فاخرة . انه غنى . سيدفع جيدا » وأشارت له بيدها ملوحة « انه يبتسم لك يا شريفة . . أسرعى . . أسرعى قبل أن تفتح إشارة المرور » .

واندفعت شريفة صوب السيارة وأمها ترقبها واجفة القلب ترجو بكل جوارحها أن تولق ابنتها في يومها هذا حتى لا تموتا جوعا . . شريفة تمرق بين السيارات . . انها تدنو من السيارة الحمراء ، ها هي ذى يدها على مقبض الباب . . ستفتحه . . ستفتحه وتتقلز . . وي . . وي . . منحت الإشارة . . السيارات تتحرك . . السيارة الحمراء سارت . . شريفة ! . . شريفة ! . . شريفة ! .

واخذت شريفة تجاهد لتعود إلى الطوار دون أن تدهمها السيارات ، وأمها ترقبها في خوف شديد وجسدها الواهن يضطرب اضطرابا ، وكادت تند منها صيحات جزع ، بيد أن شريفة استطاعت

أن يفت من الأحطار ونعود الى حيث وقفت أمها تنتفض . وما مررت
لحظات حتى أخذنا ترصدان إشارة المرور مرة أخرى بعد أن
انطلقت السيارة الحمراء في طريقها وغابت عن عيونهما .

وركزت شريفة بصرها على الإشارة الحمراء . وسرعان ما
شردت ورائت نفسها في محل الخردوات الذي كانت تعمل به .
اتضح المحل لها كأنها تراه رأى العين .. ها هو ذا مكانها خلف
المعرض الزجاجي الذي نسقت فيه أنواع الدانتيل ، وها هي
زميلاتها الثلاث في أماكنهن ، وها هو ذا محمد أفندي بنظافته
السميكة وشعره الأبيض وقلمه الذي لا يفارقه يدون به كل ما يخرج
من المحل وكل ما يرد إليه ، وها هو ذا السلم الخشبي الذي يقود
الى الغرفة العلوية ، غرفة صادق أفندي صاحب المحل .

وان في أذنيها صوته .. انه يدوي في أذنيها في سكون الليل
وفي جلبة النهار .. في اليقظة وفي المنام :
— شريفة .. تعالى .

يراحت تصعد في السلم الخشبي ودخلت عليه تحس رهبة .
بيد أن هذه الرهبة سرعان ما ماتت لما ابتسم لها وقال :
— سرني اجتهادك في عملك يا شريفة ، وقد رايت أن اكافئك .
ومد يده وربت على خدها لما حسنت نيار الخجل يشوي وجهها ،
وارتجفت وراحت تتلفت في قلق . ونادى تائلا :
— محمد أفندي .. تعال .

ومسعد محمد أفندي وهو يلهث فقال له :

— ارفع مرتب شريفة خمسين قرشا .

» كان مرتبي ضئيلا ولكني كنت أجد جنيهاً في يدي أول كل
شهر . كنت أكل بها أنا وأمي وأدفع منها إيجار البيت « .

والتفتت الى أمها غراتها ترقب إشارة المرور في ضيق وعمل ،
كانت لا تزال خضراء . وعاد صوت صنادق أفندي يرن في أذنيها
مناديا :

— شريفة ! تعالى .

مرات نفسها وهي تصعد في الدرج الخشبي ، كان الليل يزحف
وكانت الزبيلات مشغولات بطلبات الزبائن . أنها هي وهو
وحدهما .. في عينيها بريق يخيفها ، ترى ماذا يريد منها ؟ وحين
رفعت يدها لتهدئ بها على وجهه .. كان في ذلك الجواب على
ما يريد .. أنها غير نادمة .. بل راضية عما فعلت ، ورفع يده
وهوى بها على وجهها ، ثم صاح وهو يزجر :

— محمد أفندي ، تعالى .. تعالى .. يا ساقطة .. يا ساقطة ..
أنا رجل متزوج .. أنا رجل عيى مليانة .

ودخل محمد أفندي يتكئا ، وصاح صادق نية :

— أخرج هذه الساقطة من هنا .. اطردها .. لا مكان لمثل
هذه الساقطة في دكانى .. أخرجها .. أخرجى ..

ورأت نفسها وهي تسير والدموع تغسل وجهها ، وصوت يرن
في أعبائها : « الموت أحب الى مما يدعونى اليه » .

وانضاء النور الأحمر وأطلق الطريق أمام السيارات القادمة من
شارع الجمهورية ، وأسرعت الأم لتبتعد عن ابنتها وتتركها في
الميدان وحدها ، وأن كانت معها بكل مشاعرها التي أيقظتها عضات
الجوع القاسية .

وفرت شريفة السيارات بعينيها غرات بالقرب منها سيارة بها
رجل : معتقد أنه متبدها ، فخلفت الية وأمها ترقبها وقد كتبت أنفاسها
رغبة .. شريفة تتقدم .. أنها تفتح الباب .. أنها تقفز الى داخل

السيارة . أغلقت الباب خلفها . . لا تزال الإشارة حمراء . . متى
تفتح ؟ أ متى تفتح ؟

وقبل أن تزفر الأم في راحة وقعت عينها على الرجل ، انه
متجهم الوجه . . انه غاضب . . شائر . . الباب يفتح . . شريفة
تهبط من السيارة مطرقة الرأس . . الرجل يقفل الباب خلفها في
عنف . . الإشارة تفتح والسيارات تنطلق . . وأحسست الأم أن
قلبها يتمزق .

وعادت شريفة تنتظر الى النور الأحمر وعاودها شرودها ،
فراحت نفسها ليلة أن رجعت الى أمها بعد أن طردت من عملها .
كانت تقصر عليها قصتها وعبراتها تسيل على خديها . . وضمتها
أمها الى صدرها وقبلتها في حنان وقالت لها : لا تحزنى . فدا
تجدين عملا آخر . . ما أكثر فرص العمل .

وراحت الأصوات ترن في أذنيها مدوية متداخلة :
— آسف . . لسنا في حاجة الى عاملات جدد .

— عم سليمان . . هات رغيفين وبقرشين زيتون وبقرشين
حلاوة . سادفع لك بعد أن أعمل . . ساشتغل قريبا .
— لا توجد وظائف خالية .

— عم سليمان هات رغيفين وبقرشين حلاوة وصابونة .

— الحساب . . الحساب يا ست شريفة ! .

— سادفع الحساب كله قريبا . .

— الأيجار . . لا أستطيع أن أنتظر أكثر من هذا . . الأيجار
والأ سألقي بكما في الشارع . .

— هل سبق لك العمل ؟

— نعم .

— أين شهادة خلو الطرف ؟
 — لم يعد عندنا ما نبيعه يا شريفة ، بعنا كل ما كان عندنا
 يا بنتى .
 — لسنا فى حاجة الى موظفات .
 — لابد من شهادة حسن سير يكتيبها لك من كنت تعملين عنده .
 — صادق أهندي .. أرحمنى .. أرجوك ..
 — أغربى عن وجهى .. لن أغش الناس أبدا .. ضميرى يأبى ..
 .. ضميرى يأبى ..
 — صادق أهندي .. أنا بريئة وأنت تعلم ..
 — سافلة .. فاجرة ..
 — شريفة ! انى أموت من الجوع .
 — وماذا أفعل يا أمى ؟
 — اذهى الى العم سليمان وهاتى رغيفين .
 — أقسم بالله ثلاثا أنه لن يعطينا شيئا الا اذا دفعنا ما علينا ..
 — اذهبى اليه يا بنتى .. انى أموت من الجوع .
 وراى نفسها وهى تخرج مطرقة الرأس الى دكان العم سليمان
 .. كان الليل قد قارب على الانتصاف وكان باب الدكان الحصيرة
 المصقوع من صاج مدرج قد سحب استعدادا لأن يفتح ، وما كان
 أحد يستطيع أن يدخل منه الا اذا انحنى .. ووقفت شريفة أمام
 الباب لحظات وهى مترددة بين الاقبال والاحجام ، ثم تقدمت
 مسلوية الارادة وحنث قامتها ودخلت فاذا بها هى والعم سليمان
 وحدهما ولا أحد معهما .
 وقالت فى صوت خافت وهى تتحاشى أن تلتقى فيها بعينيها :
 — اعطنى رغيفين وقطعة من الجبن .

— الثمن .. أقسمت ألا أعطى شيئاً إلا إذا قبضت ثمنه .

— ليس معى الآن ما أدفعه .

.. وعادت إلى البيت تحمل بين يديها أرغفة كثيرة والفاقات بها زيتون وجبن وحلوى وفى قلبها هم ثقيل .. فقد نال العم سليمان ما كانت تضمن به على الرجال جميعاً لقاء لقيمات تسكت صراخ البطون .

وأضىء النور الأحمر ووقفت السيارات القادمة من شارع الجمهورية ، وابتعدت الأم عن ابتقتها وتقدمت شريفة تجوس خلال السيارات وتوجه نظرها إلى عيون الرجال الجالسين فيها لعلها ترى فى عيني أحدهما نداء ، إلا أن إشارة المرور فتحت قبل أن تعثر على من يحملها معه إلى حيث يريد ، ثم يضع فى يدها نقوداً تشتري بها سمكا لامها .

وعادت إلى الطوار تنتظر أن يقلل المرور وتقف السيارات لتسكنف محاولاتها ، وراحت صور حياتها تطفو على سطح ذهنها .. رأت صاحب البيت يصبح بها قائلاً :

— الأيجار .. لن أستطيع أن أصبر أكثر مما صبرت ..

مرأت نفسها تقترب منه وتلتصق به .. وانهارت مقاومته .. وفى لحظات كان يقول لها :

— بيتى كله لك .

ودست الايصالات فى صدرها .

وبرت شهور لم يزرعها فيها شبح ايجار الشقة ، وذات يوم جاء صاحب البيت وخفت إليه لتستقبله بالقبل كما اعتادت أن تفعل كلما جاء ، وإذا به يستقبلها بلطمة قوية أعقبها بصقة فى وجهها ثم زمجر قائلاً :

— أريد الإيجار .

• عاد الإيجار يثقل كاهلها ويزيد في همومها .

ورأت نفسها تخرج في الليل والنهار وتعود بالطعام لأمها وتضع في بدها كل ما يتبقى معها من نقود . كان راكبو السيارات يسرع صيدا وأمنه ، وقد أغراها ذلك أن تخرج كل يوم في مثل هذا الوقت وتتقف عند إشارة المرور لتلقى شباكها . كان الأمر سهلا أول الأمر . . حملت إلى بيوت كثيرة . . وتناولت أشهى الأطعمة ، وعادت بجنيهاً ، وصعرت خدها للعم سليمان . . أما الآن فقد صار الأمر صعباً ، مرت أيام لم تزل فيها شيئاً ، ذاب فيها ما كان عندها وعاد الجوع يطل بأنياه البشعة على جحرها ، حتى أن أمها أضحت تخرج معها وتتقف بعيداً لتطمئن إلى أن شيئاً ما وشيك الدخول إلى جوفها !

واغلقت إشارة المرور أمام السيارات القادمة من شوارع الجمهورية وابتعدت الأم عن ابنها في تخاضل ، كانت تحس أنها ستنهار ، وزاد في وهنها أن الينس بدأ ينتشر بين ضلوعها ، وقر في رأسها أن يومها لن يكون أفضل من أمسها . وانسابت شريفة إلى السيارات ، وأخذت تقلب عينيها في راكبيها من غير حماس . لاح في وجهها قنوط وأعياء وسريلتها مسكنة تحرك الشفقة أكثر مما تحرك الاشتقاء .

وانطلقت السيارات في طريقها ، وتلفت شريفة راجعة إلى الطوار وهي تحس غيبوبة تسرى في كيائها ، بيد أن ذهنها ظل يعمل . . رأت نفسها في « جروبي » جالسة تحبسي القهوة عند الغروب . . كانت تجلس إلى مائدة وحدها وكان المكان غامصاً

بالفأس ، وتقدم شاب على استحياء ونظر الى الكرسي الخالى
امامها وقال :

— انسمحين ؟

— تفضل .

وجلس .. وتحادثا .. وقبل ان ينصرفا كان صائح قد ضرب
لها موعدا ليتقابلا .. والتقيا ووجهها الى السينما ، وقبل ان
ينصرفا ذهب بها الى محل لماخر لبيع الحلوى واشترى كيلو
شيكولاتة قدمه اليها : « يا مغفل ! شيكولاتة وليس فى بيتنا خبز ؟ !
لو اعطيتنى نصف ما انفقته على اليوم لكنت اسعد الناس » .

ونظرت الى اشارة المرور الخضراء فى شروق ، ثم اسبلت
جفניה على عينيها ومشى فى جسدها وهن شديد ، احسنت انها
ستنهار بيد ان صوت صائح مس اذنيها فى وضوح وان بدا انه
قادم من مكان سحيق ، قال :

— شريفة سفسافر غدا الى الاسكندرية .

— امرك .

— سنتقابل فى السابعة صباحا .

« رأت نفسها وهى تتجه معه الى المطار فقد اصر على ان يذهب
اليها بالطائرة .. وعاودتها الافكار التى راودتها وهى فى الطائرة
الى جواره : « يا مغفل لماذا كل هذا التبذير ؟ اعطنى بعض ما تبعثره
فى الهواء اعطك ما تريد واكثر » .

وتذكرت ما دار بينهما فى ذلك اليوم من حوار فاحسنت جسدها
كله بنفص وقلبها ينز اسى ، واستشعرت آلاما فى روحها تكاد
تطغى على آلام الجوع الكافر :

— شريفة ! تعلق قلبى بك منذ اول يوم رأتك فيه عيناى . اريد

إن أنواع هذا الحب بالزواج فما رأيك ؟ .. لماذا هذا الصمت ؟ قولي
نعم أو لا .. قولي أى شيء .. أعرف يا شريفة أنك لست غيبة
وأعرف أن لك أما ليس لها غيرك .. ستكون أمك أمى .. سيصبح
لها ابن برعها ويكرم شيخوختها .. كل ما أريده يا شريفة زوجة
تصون شرفى ؟ ما رأيك ؟

— صالح .. اعفنى أرجوك .

— أتبكين يا شريفة ؟ أنا لا أفهم شيئاً .. تكلمى .. أريخى
قلبى .

— لا أحب أن أكذب عليك يا صالح سأبوح لك بسرى . خطبنى
زميل من زملائى الذين كانوا يعملون معى فى المحل واتفق مع أمى
على أن يعقد على ليلة الزفاف ودفع لأمى المهر . كان يمر على
الصباح ونذهب مما إلى العمل ، وكنا فى الليل نتجول فى المدينة
نحلم بمستقبلنا المشرق الذى ينتظرنا ، وما كنا نعلم أن الزمن يخفى
لنا فى غيبه مأساة ، فقد مرض خطيبى ومات بعد أن قال منى ..
كل شيء .. كل شيء .

وانتفتت بعينين زائغتين تبللها الدموع إلى حيث كانت
السيارات مقلية .. لا أحب أن أكذب عليك يا صالح . كانت حياتك
كلها يا شريفة كذبة متصلة .. الموت أحب إلى مما يدعونى إليه ..
لماذا تأخرت ؟ لماذا تأخرت يا صالح ؟ لو أنك جئت قبل أن يطردنى
ذلك الوغد من دكانه وقبل أن ينهشنى الوحش الفتن فى دكانه لما
قامت ما قاميت ، ولكنك جئت بعد الأوان ، بعد أن ضاع ما تبحث
عنه .

رقصص صوت صالح فى خيالها كقصص الرعد :

— عشت منذ عرفتك أحلم بيدى وهى موضوعة فى يد موكلك ،

وأصغى إلى صوته وهو يقول : زوجتك موكلتى شريفة البكر
الرئيسية .. لا .. لا أستطيع أن أتصور .. لا أستطيع أبدا ..
وأغلقت إشارة المرور ووقفت السيارات ، وبقيت شريفة في
مكانها لا تتحرك . خيل إليها أن النور الأحمر المسنة فيران تراقص
لتلعب قلبها وتشوى كبدها . وهبص صوت ضيرها في أفوار
نفسها : « ليتك يا صالح عرفت الحقيقة .. جسدي ولغت فيه
الغائب أما قلبي فلم ينفذ إليه أحد سواك . لم أعرف طعم الحب
قبل أن ألتاك ، ملكت كل حواسي ومشاعري وإن لم يلمس لحمك
لحمي .. كنت أتمنى أن أجود بروحي في سبيل أن اصون عرضك
.. كنت مغفلا يوم جئت .. وكنت مغفلا يوم ذهبت بعد أن مزقت
قلبي وقلبك » ..

« احسست الأرض تهيد تحت قدميها ، ورات من خلال الغشاوة
التي مدات تنسدل على عينيها السيارات تراقص ، وتماسك
وراحت تقارم إرادة جسدها أن ينفذ ليسترريح .

ودنت أمها منها متهاكة متخاذلة وهي تهمس : « كنت لأكراكي
يا رجلية شايلاه بطاني ، اتاريكي يا بطني ألى شايلاه رجلية » .

وملأت صورة العم سليمان رأس شريفة ، وتذكرت ما قاله
لها قبل أن تقطع كل صلة بينها وبينه : « أنا في الخدمة دائما يا ست
شريفة ، أنا لا أنسى أبدا أصدقائي » .

ولفت الأم ذراعها حول وسط ابنتها ولفت شريفة ذراعها حول
أمها ، وقفلتا عائدتين تجران أرجلهما جرا وتحاملان على أنفسهما
حتى لا تقع أحدهما على الأخرى من أثر الجوع .

الغيب

كنت وصاحباي نجتمع صباح كل يوم جمعة في الكازينو ، وكان صاحباي من الشباب الذين تستهويهم النظريات الحديثة فكان كل منهما يعكف طوال الأسبوع على قراءة دارون وفرويد وماركس أو على بعض ما كتب عنهم ، حتى إذا ما حان موعد اجتماعنا راح كل منهم يردد ما قرأ في حماس كأنه شريط تسجيل دون أن يحاول أن يفكر فيما قرأ أو يقلب الرأي فيه . وكان كل منهما يحاول أن يسيطر علينا بعلمه وهو في قمة النشوة ، يحسب أن أحدا لم يسبقه لقراءة تلك الفلسفات المادية . وقد كان يخيّل إلى أحيانا أنهما أشبه بشاب يافع قد بلغ الحلم فظن أن أحدا من العالمين لم يستشعر مثل ما استشعر به . كنت أصغى إليهما وما كنت أحب أن أناقشهما أو أجادلهما فما كان ما يرددان من آراء جديدة على ، كنت قد قرأته محابدا واخذت فيه قرارا وانتهى الأمر .

وجاء الجرسون وطلب صاحباي بيرة وطلبت « اسبائس » مسخرا مني سخرية خفيفة ، فرأيت أن أبلغها حتى لا أكر جو الجلسة ، ورحنا نخوض في الأدب والأدباء فأنكرا كل الكتاب المصريين والعرب أمعسا في الترفع . وليسوهباني أنهما « المايو برمان » الذي كان يحلم به نيشته أو أنهما من رجال المدن العاقلة ..

وقبل أن يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة استأذنت منه ، وما ا
قضى الصلاة حتى عدت اليها فلما رأيتي قال أحدهما في
انفعال :

— كيف يؤمن مثقف مثلك بالغيب والغيبيات ؟

وقال الآخر ساخرًا :

— والأدهى من ذلك أنه يؤمن بالأحلام .

ورأيت إلا أبتلع هذه السخریات فقلت لهما :

— فلنتجادل بالتي هي أحسن . انكما شريتما البسيرة فلم
انهركما ولم أفكر في أن انهاكما وتركت لكما حرية الشراب وإن
كانت رائحة البيرة تضايقتني ، فلماذا غضبتما لأنني ذهبت للصلاة ؟
من منا أوسع أفقا ؟ لعلكما تجدان في الشراب نشوة وأنا أجد في
صلاتي نشوة ، فلماذا تحاولان أن تحجرا على حريتي وإن تحرماني
نشوة أسعد بها وينشرح لها صدري . من منا المتزمت المتحجر ؟
تركت لكما حرية الخلقة فلماذا تحاولان أن تدفعاني بعيدا عن
طريق الأمن والسلام .

— اننا نريدك أن تصحو ، أن تفيق من الوهم الذي تعيش فيه .

— آسف أن أقول لكما انكما لا تزيدان عن ببغاوات وإن اشرطة
التسجيل أنفع منكما وأصدق . انكم قتحمسون لما تقرعون دون
تفكير ، فما تقرعون يسلبكم حرية التفكير بل يجعلكم عبيدا لما
تقرعون . تحدثتما في الصباح عن النشأة الأولى وعن التطور
والإنشاء ومن الحلقة المفقودة وكلام كثير لا يصمد طويلا لأي تفكير
هاديء سليم . أن الدين لا يفكر التطور : « ما لكم لا ترجون لله
وقارا ، وقد خلقكم أطوارا » ولكن الدين والمنطق السليم يفكران أن
الأصل خلقة حياة تطورت حتى صارت بشرا سويا . فلو سلمنا بذلك

التطور . فهل النتيجة النهائية لكل ذلك ذكر أم أنثى ؟ فلو كانت النتيجة ذكرا لالابد من تطور آخر تكون نتيجته أنثى حتى تبدأ الحياة .

وهو حدث مثل ذلك التطور الثنائي لكان أكبر دليل على تدبير عاقل ، وعلى وجود مدبر حكيم . وما دمنا قد وصلنا الى المدبر الحكيم فالخلق أقرب الى المنطق والعقل من التطور والى افتراض وجود حادثة مفقودة . وعيب النظريات المادية كلها أنها تقوم على افتراضات خاطئة منهارة ، فكيف تكون النتائج سليمة اذا كانت الافتراضات غير سليمة ؟

يا صاحبي الكازينو سمعتكما كلما خضنا فى موضوع حيرنا قلتما : ابهما وجد أولا للبيضة أم الدجاجة ؟ فلنفكر فى هدوء قليلا — ان كنا كبد الحقيقة نريد — انى اسالكما : هل اذا باضت دجاجة ليس معها ديك ، هل يمكن أن تفقس مثل هذه الدجاجة كتكوتا ؟ . — لا ، لا بد أن يكون بالبيضة التى تفقس « كسر » ديك .

— إذن لابد من ديك ودجاجة حتى تبيض الدجاجة بيضة صالحة للفقس . — هذا لا شك فيه .

— فلماذا تسألون دائما : « مين الذى اتوجد الأول الفرخة واللا البيضة » ؟ أتمرغان لما ترددان ذلك ؟ لانكما اعتدتما ان تتلقيا كل ما يأتينا من الغرب دون تمحيص . لو فكرنا بعقول حرة لاهتدينا الى أن كثيرا مما يأتينا من عندهم ليس له الا البريق .

يا صاحبي الكازينو لابد من دجاجة وديك لتأتى بيضة صالحة للفقس والتفريخ ، فالدجاجة والديك اسبق من البيضة لو كنتم تفكرون .

يا صاحبي الكازينو بقيت النقطة الأخيرة ، النقطة الأخيرة

التي اثارته كل هذا الجدل ، الغيب وايماني بالغيب . واقول الحق انكما مغروران ، عن نتائج المعامل المذهلة ادارت راسعكما ، فاسمحا لي ان اناقشكما الآخر مرة في هدوء . قولاً لي : اذا قرينا سلكا سالباً من ذلك كهربائي موجب ، فماذا يتولد ؟

— كهرباء .

— ما هي الكهرباء ؟

فصبت صاحباي فقلت لهما :

— غيب .

ومدت اسأل :

— اذا قرينا مغناطيسا من مسمار فماذا يحدث ؟

— ينجذب المسمار الى المغناطيس .

— فما هي المغناطيسية ؟

وتم بحر صاحباي جواباً فقلت :

— غيب .

ثم قلت لهما :

— اذا وضعنا حامضاً على معدن ما فماذا يحدث ؟

— تفاعل .

— فما هو التفاعل ؟ غيب .

كلنا نتصور أن الموجات الصوتية أو الضوئية تسبب في الاثير ، ثم جاء اينشتاين واثبت أن ليس هناك اثير . لقد كان الاثير غيباً بالنسبة لنا قبل اينشتاين وأصبح فراغاً بعد اينشتاين . إن الانسان

قد لغت الذرة ، مره تكون نتيجة القنيت شعاعا ومره تكون حرارة .
كل ذلك عيب ولا شيء غير الغيب . اللهم الا نتائج وظواهر يفتتها
استخدامها ونحسب من غرط جهلنا وغرورنا أن الغيب قد أسفر
من وجهه .

ان المعمل لم يثبت الا حقيقة واحدة هي الغيب . وكل حكمه
الحكماء وعلومهم ان هي الا آراء بشرية ناقصة وظنون لا تبلغ من
عالم الغيب الا انه موجود مجهول .

با صاحبي الكازينو كلنا مسواء ، المؤمن بالغيب والمؤمن
بالمعمل ليس امامنا الا حقيقة واحدة أن نؤمن بالغيب .
ونظر أحد الصديقين الى ساعته وقال :
— حان وقت الانصراف .

فانصرفنا ورحلت أتذكر قول برجسون :
— ان البصيرة بصر باطنى للعقل الذى أغلق عن عمد كل ابواب
الحس الخارجى ما استطاع الى ذلك سبيلا .
ورحلت أتذكر أيضا ما ورد فى أسفار اليوباتشاد : « اننا
لا ندرك روح العالم بالتحصيل . . اننا لا نبلغه بالنبوغ والاطلاع
على الكتب . . فليطرح البرهمى العلم وليعد طفلا . . لا يبحث
البرهمى عن كلمات كثيرة ، فما هي الا عناء يشقى اللسان ، فنفاذ
الرأى الى جوهر الأمر أعلى درجات الفهم .

وراحت أبتهالات البراهمة ترن فى أعماقى :
— أبه يا روح العالم غير المجسدة ، يا جوهر العالم الواحد
الشامل : بأبها المحتوى لكل شيء ، الكامن فى كل شيء . يا من لا

تدركه الحواس ، يا حقيقة الحقيقة ، بأبها الروح الذي لم يولد
والذي لا يحق عليه الموت أو الفناء .
، نظرت حولي أملاً نفسي بروعة الكون ، فإذا بي أشتعر بفرح
مياض وأهيم لأذوب في ملك الله ، وهمت كل خلجة من خلجاتي :
— رينا ما خلقت هذا باطلا سبحانه .

فاجرة

- ١ -

سارت فردوس في الغرفة الواسعة وهي تحصل بطائفة رمادية من الصوفا ، واتجهت الى الأريكة التي كانت تعدها لتكون مسريرا للوافد الجديد ، وطوت البطائفة ووضعتها في حفاية فوق طرف الأريكة الخالي فقد كان في الطرف الآخر وسادة صغيرة ، وأسحلت على الجميع مفرشا أبيض راحت تمرر يدها عليه لتبسط ثنياته .
واتجهت الى الكنسول وراحت تجره ، وإذا بزوجها يدخل ويقول لها :

— ماذا تفعلين ؟

— اقرب الكنسول من الفراش ، ليضع كتيبه وأدواته في أدراجها ويستعمله مكتبا . ، ليس عتقنا مكتب .

— ولماذا لم تشادينى لأساعدك ؟

— لم أشأ أن اتعبك .

فقال وهو يرمقها في ود :

— تعبك راحة .

وشمر أكمام جليابه وأسرع اليها يعاونها .

كانت فردوس فى الخامسة والعشرين قمحية اللون واسمة العينين يلعب سوادهما لمعانا اذا وبياضهما ناصعا ، وانلها متناسبا وشفتاها رقيقتين منطبتتين على عم اشبه بجرح دقيق تتجمع دماؤه لتنفجر ، وغار طابع الحسن فى ذقنها ، وشعرها فى لون الفحم يبدو فيه الفرق الابيض كشریط من العاج مد فى وسط مخمل اسود ، وغطى مؤخر راسها منديل ابيض تدلت من حواشيه احجبة صغيرة شملت من خيوط مى لون العقيق ، ونبتت من تحت المنديل صغيرة غزيرة طالت حتى لمس طرفها اعلى جزء فى مجزها .

وكانت ترتدى ثوبا مضافا ناصع البياض اقرب الى جلاب الرجال ولكنه عجز عن ان يكتم سر الجسد الذى يحويه ، فالثديان المثلثان يهتزان فى رعونة كلما اقبلت او ادبرت ، والارءاف تتكور كلما مالت لتلتقط شيئا او اثنت على السرير او الارائك او المقاعد تعيد تنسيقها ، اما الخصر النحيل والبطن الذى لم يعرف الحمل فقد كان يفضحهما ضمها لحشوية كبيرة بين ذراعيها ورفعها على سدرها ، فالثوب يشد حول الجسد شدا ويكشف سحره .

وكان سويلم يخطو نحو المستين ، طويل القامة محدوب الظهر قليلا ، جاف الوجه مضعضع العينين تبعثرت فى فثته بعض شمرات بيض . مرتدى جلابا من الصوف وان لم يكن الشتاء قد اقبل ، ويضع على راسه طاقية من الصوف .

بوضعا الكمنول بالقرب من الأريكة واخذت فردوس تنظرة مرآة بأوراق صحيفة ، ووقفت سويلم يتطلع اليها بعينين راضيتين وقال :

— أهو ابن خالتك ؟

وقالت فردوس وهى مستمرة فى عملها وصنهرها يترجرج :

— أمه ابنة خالتي .
 وصمت قليلا ثم قال :
 — كم سنه ؟
 — والله لا أدري . . آخر مرة رأيته فيها كان طفلا صغيرا .
 فغهم :
 — طبل صغير ؟ !
 ثم قال في صوت فيه دهش :
 — وماذا نفعل لو بكى ليلًا وطلب العودة الى أمه ؟
 فضحكت فردوس ضحكة ناعمة وقالت :
 — تحمله على كتفك وذهب به الى أمه . .
 فقال في مزعج :
 — أخرج في برد الليل ؟ والله لو بكى . .
 ولم تدعه يتم حديثه بل قالت وهي تضحك :
 — اطمئن فلن يبكي ، كانت آخر مرة رأيته فيها من تسع سنوات
 . . بعد زواجنا بسنة . كان لم يذهب الى كتاب القرية بعد ، وقالت
 لي أمه : لما بأخذ الابتدائية سأبعث به اليك في البندر ليدخل مدرسة
 الصنائع .
 كنت احسبها تمزح فقلت لها مجاملة : سأضعه في عيني . .
 ولم تنس ما دار بيننا ، ذكرته في رسالتها كلمة كلمة كأنما نقش في
 رأسها .
 وبلغت فردوس كرسيًا من الخيزران في يدها ووضعت تحت
 حلقة فدخلت من السقف ، ثم خرجت من الغرفة . . وما لبثت ان
 عادت تحمل مصباحا كبيرا يأتلق معدنه وتشمخ زجاجته ، ودفعت
 بالمصباح الى زوجها ووقفت على الكرسي ، ومدت يدها وقالت :
 — هات

مذال لها وهو يمد يده بالمصباح
- خذى .. يأخذ عدوك .

وثبت على أطراف أصابعها وهي نضع المصباح في الحلقة ،
فتشد . تسمها وانحسر الثوب قليلا عن ساقها المثلثة ، فمد سويلم
يده وراح يبررها على ساقها في حنان ، فرنت اليه في دلال وقالت
في خبث :
- أقع .

وصحكت ضحكة طويلة مغممة كلها نداء ، فابتسم سويلم في
سرارة . وقفزت فردوس في خفة وارتمت في صدره ، فوضع
شفقيه على خدها وطبع قبلة باردة أحسست قشعريرتها في روحها .
وارتفع رفين جرس « كرتة » فأسرعت فردوس الى الشباك
ونظرت ، ثم التفتت الى زوجها وقالت :
- عرفة حضر .

وعادت الى زوجها مهولة ، وأخذته من يده وانطلقا لاستقبال
الوافد الحديد .

ونفا عند راس السلم يترقبان .. كأن سويلم يحس بعض
الضييق فقد ألف حياته وما كان يحب أن يعتمورها التغيير ، أما
فردوس فقد كانت تستشعر رغبة في استكناه طلبة الطفل الذي لم
نره منذ تسع سنين .

وراح عرفة يصعد في الدرج وهو مطرق الرأس يعلق في
ذراعه صرة بها ثيابه ، ويحمل في يده الأخرى حقيبة عتيقة من
الجلد الأصفر أسودت أطرافها من العرق . وأحس أن هناك من
يرقبه عند راس السلم فنظر دون أن يرفع رأسه ، فآلف سويلم
وفردوس ينتظرانه مخفق قلبه في شدة واضطراب ، وأخذ يصعد
متمهلا لعل القلق الذي نزل به يهدأ ولعل انغمسه تشتت .

و...نا ، نهما غاذا بهما يتطلعا الىه وقد نفرا افواهما ولاح
الدهش في اعينهما .. كان فتى مكتمل النمو عريض الكتفين قوى
الساعد ، وانشرح صدر فردوس ورفعت على شفقتها بسمة عريضة
بينما زاد انقباض سويلم ، ولم تفلح الفرحة التي لاحت بين شفقيه
في أن تخفى عبوسه .

روسل اليهما وعيناه حائرتان بينهما ، وفتح فمه ليلقي عليهما
تحية واكن حبس صوته فارتبك ، فأسرعت فردوس تقول وهي تمد
له يدها :

— اهلا وسهلا .. شرفتنا .

والتفتت الى زوجها وقالت ويدها لا تزال قابضة على يد الفتى :
— عبك سويلم .

وأرخت يدها القابضة على يده فمد يده ومال ليقبل يد الشيخ
المحدودة لمصافحته ! ولكن الشيخ سحبها بعيدا عن الفم المزموم .
وساروا جميعا ليدخلوا الشقة وقد تباينت مشاعرهم ، فردوس
تختلس النظر الى الفتى في متعادة ، وسويلم يرمقه في برم ، وهو
سائر كالمذهول ينكر نفسه .

والموا الغرفة التي أعدت له ، وقالت فردوس وهي تفسح له
الطريق :
— تفضل .

وتقدم وحده وجعل يتلفت في ارتباك ، ووقعت عيناه على
الكنسول فأتجه اليه ليضع الصرة والحقيبة فوقه ، والتفت عيون
الزوجين فهمس فردوس :

— والله لو بكى في الليل فلن يحمله على كتفه أحد غيرك .
ورنت في المكان ضحكها المنغمة الزاخرة بالنداء .

سرى فى سكون الليل صياح ديك وإذا بصيحات الذئوك
تتجاوب من كل مكان ، وتسللت خيوط فى لون الرصاص من
خماسر الشباك تجاهد لتزحزح الظلام الثقيل الجاثم على أنفاس
حجرة نوم الزوجين ، وهناك الصنبت وقع اقدام فى الطريق وأصوات
عجلات عربة مقبلة من بعيد .

يراحت الخيوط الرصاصية تتحول الى خيوط من الفضة ،
هببت أعمدة السرير النحاسية الصغراء الشمامخة كأعمدة من
الابرير ، وتقلب متويلم فى الفراش وتمطى ، ثم أزاح الغطاء عنه
ونفض ليذهب الى دورة المياه يتوضأ .

والتي نظرة على فردوس الأنثى الى جواره غالى ساقها قد
تعرت ، فهدأ يده واستحب الغطاء فوقها وستار وما أن ان غادر الغرفة
حتى دفعت فردوس الغطاء عنها بقدمها ورتمت ساقها الى أعلى
فانحسرت ثيابها عن فخذيها ، ودارت فى السرير نصف دورة ،
وبحركة رشيقة كانت متمسكة على قدميها ، وانطلقت الى غرفة
عرفة وفتحت الباب فالتفت عرفة جالسا على الأريكة التي أعدت
لنومه ، فقالت له :

— يسعد صياحك .

— يسعد صياحك .

وشاولت من خلف الباب قصبة من الغاب مجومة ، وتقدمت

حتى رفعت تحت المصباح ووضعت طرف القصبة في الفتحة المجوفة
بتعر المصباح ونفخت في القصبة ، فانطلق النور الخافت الذي كان
ينراهم كاسيا يترنج قبل أن يلفظ انفاسه .

ودنت الى الكرسي الخيزران ، وفطن عرفة الى ما ستفعله
فقد رآها مرارا تقوم به ، فكان أسرع منها الى الكرسي وحمله بيده
ووضعت تحت المصباح ، ثم وقف فوقه ليتناول المصباح من الحلقة
الدلاة من السقف . ودنت فردوس منه ورفعت رأسها ترمقه وفي
عينيهما عبطة وفي صدرها نشوة ؛ باتت تستشعر مشاعر جديدة
بذ جاء الى البيت . . تدسست في روحها يقظة بعد طول هجوع . .
كادت الشبحوخة المبكرة تنجح في اسدال أسترة كثيفة على قلبها
الشباب ، فإذا بوموده يهتك الأسجاف ويجعل القلب يرقرف في
انطلاق . وكادت كنوز قلبها تفور وإذا به يفجر المكنون لتفتح
مهجتها تفتح الزهر للندى ، وترق أحاسيسها رقة أنفاس السحر ،
ويترقب في جوفها حنان دغاق ، وتدب في أوصالها حياة حلوة
عذبة لها طعم حبيب مشتهي لم تذقه من قبل . . مذ عرفت كيف
تذوق الحياة .

حرمات الأمومة سنوات فكبت أحاسيسها الرقيقة ، فلما جاء
وجدت مشاعرها المذخورة المكنونة منفسا . آه لو كان أصغر قليلا
مما هي لأحلسته على فخذها وضمته الى صدرها وجعلت تعبت
بأنفاسها في شمره ، وطفقت تلاشه دون حرج هنا وهناك .

ربط عرفة والمصباح في يده ، وتحرك لينطلق به الى المطبخ
يصمر بالحاز فاعترضت طريقه ، ومدت يدها تتناول منه المصباح
وعيناها على شفثيه تراودها فكرة أن تتقدم خطوة وتقبله ، ولكنها
وأدت رسوسة النفس وأخذت عيناها تطرفان في اضطراب على
الرغم من البسمة التي رمت على شفثيها .

عزارت على عقبيها وانصرفت وقلها يخفق في حنان . وقد
انتشرت في جوفها رهبة لذيفة لها نشوة استكانت لها واخذت
تغذيها بالامكار ، راحت تجتر ذكريات يوم الجمعة . عرفة في
غرفته ام يغادرها ولكنها تلمحه في غدوها ورواحها . . سويلم في
البيت ممددا على كنبه في استرخاء . موعد صلاة الجمعة يقرب
.. الزوج يطلب منها ان تعد الحمام .. موعد الجاز يطن ..
البخار يتصاعد من الصفيحة الموضوعة فوق الموقد .. الزوج يدخل
الحمام وعلى كتفه بشكير ابيض .. ترتفع طرقات الزوج على باب
الحمام .. تفتح الباب في حرص لتدخل بسرعة قبل ان يدخل الهواء
البارد .. تلتقي عيناها بعيني عرفة وهي تنسل الى الحمام ..
يفض عرفة من بصره حياء .. يشرق وجهها بالابتسام .

انها قدلك ظهر الشيخ المخور بالليفة والصابون في شدة ،
انتقلت الحياة المتدفقة في جوفها الى ساعدها فتأوه الرجل وصاح
فيها ان ترفق به ، ولكنها ظلت تدلكه في حرارة فامرها ان تكف
قبل ان تدق عظامه . وضحكت ضحكتها المنفمة الزاخرة بالفداء ،
وخرجت واثر الصابون في يديها فآخذت تجففهما وهي ترنو الى
عرفة منتشية .

وذهب الزوج لصلاة الجمعة ، وذهبت الى عرفة تدعوه
للاستحمام ، واغلق باب الحمام خلفه وانطلقت نغمات شائها ..
ولكن سرعان ما وجدت نفسها منجذبة الى الحمام ، وطلعت تغدو
وتروح امامه وانفاسها تتلاحق . نبتت في اغوارها مشاعر كثيرة
متباينة لا تدري كنهها ، كانت مزيجا من الامومة والرغبة والرهبة
والاستهواء ، ومس اذنيها صوت ارتطام الكوز بالصفيحة فجعلت
مفزوعة ، ولكن ما لبثت ان عادت صاعدة هائلة امام باب الحمام .

٢٥ لو كان أصغر قليلا لفتحت الباب ودخلت تغسل له رأسه
وصدره وذراعيه ومخفيه وساقيه وقدميه ، وتصيب عليه الماء صباً
.. أنها لا تذكر أنها قامت بغسل جسم غلام وأنها تحس السخامة
أنها حرمت من لذة .

وهمس في صدرها هامس يسألها عما تفعله إذا دق الباب
وطلب منها أن تدلك له ظهره ، ولم تجب عن السؤال ولكن سرت
في جبينها مشاعر لذيدة مغللة بغشاء رقيق من الخشية .

وتحركات أكرو باب الحمام نهرولت مبتعدة كأنها خشيت أن
يراهم ثرية من الباب فيفطن إلى ما دار في خلدها ، وخرج يرتدى
جلابياً مخططاً مفتوح الصدر فقالت له :
— نعميما .

— انعم الله عليك .
واعترضت طريقه ، ومدت يدها تزرر له الأزرار المفتوحة وهي
تقول :

— زرر صدرك الدنيا برد .. وأنت خارج من الحمام .
وامسحت أنفاسه الحارة وجهها فتلكات في عملها تنعم بالخدر
اللذيذ الذي سرى في كيائها ، ولمحت قطرة ماء على جبينه لمسحتها
بكمها في حنان .

واستأنف سيره إلى غرفته وذهبت إلى الحمام تغسل له ثيابه ،
كان التسيل بغيضا إلى نفسها ، ولكنها لم تستشعر ذلك الضيق
الذي كانت تحسه كلما جلست إلى طست التسيل ، بل كانت تغنى
في نشوة .

وافاقمت من الأحلام اللذيذة الدائرة في رأسها على وقع أقدام
خلفها ، ما فتئت توجدت عرمة مقبلا ، ترمقه في استفسار قتال
لها :

— اساعذك ؟

— لا . . استرح أنت .

★ ★ ★

وفي الصباح رآها واقفة في المطبخ أمام موقد الغاز فقال لها .

— ماذا تفعلين ؟

— اني اعد الافطار .

فذهب ووضع الطبلية ، وعاد الى المطبخ بحمل ما اعدته .

وتحلقوا الطبلية ، مردوس وسويلم قد جلسا جنباً الى جنب وجلس غرفة امامهما ، وأخذوا يتناولون طعامهم وهم يتحدثون احاديث شتى لا ينتظيها سلك ولا يربط بينها رابط .

وتحركت مردوس لتريح رجلها فاحسرت ثوبها عن فخذيها ، ووقعت منها غرفة على الفخذ العارية فادام الغطر ، ولمح الشيخ اتجاه العيون الخائنة فلكز مردوس بمرقفه وقال بصوت فيه رنة غضب :

— غطى رجلك .

وارتبك غرفة واسبل عينيه ، ودق قلبه في شدة وتدفقت دماء الخجل في وجهه فاحمر ، ومد يدا متخافلة الى الطعام وامادها الى قهقهة ، ولكنه لم يسع ما ياكله فجعل يلوكه في فتور .

؛ احست مردوس ما يكابده الفتى فاشتغلت عليه وضاعت بها فعل زوجها ، وهمت بان تقول شيئاً ترفه به عن غرفة ولكنها خشيت أن تفتح باباً قد يؤدي الى جرح شعوره فلانفت بالصمت . وبعد غرفة عن الطبلية فقالت له مردوس :

— كل .

— الحمد لله .

ونهض ليحمل كتبه ويتسلسل الى مدرسته .

نق جرس المدرسة ايذاناً بالانصراف ، فخرج التلاميذ الى ملعب الكرة من كل فج وأصواتهم عالية وضحكاتهم مجلجلة ، لقد ذهبوا لمشاهدوا المباراة التى ستقام بين فريق مدرستهم وفريق المدرسة الثانية .

وفصل عرفة من رفاته وانستاب مسرعا صوب الباب ، وقابله احد زملائه وهو يحمل بوق فوموعراف يهتف فيه مشجعا مدرسته ومحبي اللاعبين الاصديقاء ، وخافه ثلة من التلاميذ ينصايحون ، فرقت علم شفتى عرفة بسمة ، وانطلق فى طريقه دون أن يلوى عنقه ، لقد أصبح يتعجل ستاعات الدراسة ليعود الى البيت . بات يجد سعادة غامرة فى الحديث الى نردوس والاصفاء اليها ومشاكتها فيما تفعل ، والتمتع بدعاباتها .

ووضع المثلث الكبير وبعض ادواته تحت ابطه وراح يضرب فى الطريق المنساب بين الحقول . . وقد خلف وراءه اشجار الجازرين العالية التى تحد مدرسته ، وامتدت على جانبي الطريق خضرة نباتيت ألوانها وأشكالها وثمارها ، الخبيزة كأنها دوائر من مخمل أخضر ، وأوراق الترمس كأنها من رسم فنان سريالى لا تماثل فيها ولا تجانس ، والطماطم كأنها جواهر انسدت عليها اوشحة خضراء تخفيها عن العيون .

وبنح طريق المدينة المرصوف مضرب الأرض بقدمه في قوة
مرات متتابعات ليزيل الغبار العالق بحذائه ، ثم استأنف سيره
ووسع من خطوه - وجعل يتماهى في اهتمام العربات « والكاراتات »
والدراجات التي تحمل على ذائبيها اقساط اللبن - القادمة من
اليمن ومن اليسار على السواء .

ودلف الى حارة جانبية ليتجنب المرور على مغلق خشب الشيخ
سويلم ، فقد مر عليه مرة وحياء فأبقاه معه حتى عادا الى البيت
بما بعد صلاة المغرب ، ومن ذلك اليوم تحاشى أن يمر عليه عنده
مودته حتى لا يحرم من الذ ساعات النهار .

ربلغ الدار وصعد في الدرج وثب ، ونقر الباب بأصبعه نقرات
خفيفة فأسرعت فردوس وفتحت له ، ولما وقعت عينها عليه قالت :
- أهلا بالباشمهندس .

ومدت يدها لتحمل المثلث الكبير والأدوات الموضوعة تحت
ابطه ، وسارا جنبا الى جنب الى غرفته يلمس كتفها كتفه مرة .
ويحتك ذراعه بذراعها مرات ، وتائق العيون ببريق أخاذ .

ووضعت المثلث والأدوات على الكنسول ، ولحت لوحة بيضاء
عليها خطوط رسمت بحبر أسود فتقرست في الرسم برهة دون أن
تفهم شيئا ، فقالت وهي تتطلع الى صورة عرصة المنعكسة في
المرآة :

- ما هذا ؟

نقال وهو يذوق منها :

- رسم لعمل أبريق .

ووقف خلفها وأخذ يتطلع الى الرسم من فوق كتفها وهي تعاود
النظر لعلها ترى أبريقا ، ولكنها لم تر الا دائرة وخطوطا ، فترجعت
اسها وقالت وهي تنظر الى المرأة :

— أين الأبريق ؟

ممد ذراعه من خلفها وجعل يمرر أصبعه على الخطوط وهو يقول في اعتداد الأستاذ :

— هذه دائرة قاع الأبريق ، وإذا قص هذا الخط وهذا الخط وقرطسنا الورقة ولصقنا هذا الطرف بذلك الطرف تكون جسم الأبريق .

— وما هذه الخطوط ؟

— زخرفة في الأبريق .

فقالته وهي ترنو إليه بطرف عينها :

— « أبريق الحنبلى كل ما يفرغ يمتلى » .

وبسحكت ضحكتها المنغمة الزاخرة بالتداء ، ورننت إليه رفوة طويلة وابسحمت بسمة خبيثة ، ومالت قليلا في دلال حتى مس ظهرها صدره فأحس خدرا لذيذا ، والدماء الحارة تتدفق في عروقه وتصبغ خديه .

وبدأت في خفة دورة كاملة فأصبح صدرها أمام صدره ، وقالت وهي تعبت في أزوار قميصه :

— هل بعثت بك أمك الى هنا لتصبح سمكيا ؟

وتعلقت عينها بشفتيه ، ثم تكن تنظر جوابا بل كانت نفسها تغريها أن تلف ذراعيها حوله وأن تضمه إليها وأن تضع شفتيها على شفتيه ، وقال في صوت مضطرب تخفقه انفعالاته :

— هذه تمرينات . . نبدأ بالبسيط ثم ننتدرج ، أننا ندرس هندسة السيارات في السنة الأخيرة .

ظللت عواطفها الثائرة تعربد في أغوارها فمدت يدها وربتت على خده ، ثم انصرفت بسرعة لتقر بنفسها من نفسها .

وراح عرمة يخلع ثياب المدرسة وارتندي جلباب المخطط .
وجلس على حافة الأريكة ومد يده وتناول كتابا وفتحه ، وحاول
أن يقرأ فيه ولكنه كان شارد القلب يحس رغبة في أن يذهب إلى
البريوس بمعاونتها فيما تفعله ويسعد بقربها .

ربح المكتب جانبا ونام ليذهب إلى المطبخ فقد وصل إلى
سمعه ملنين بوقد الغاز وفطن إلى أنها بدأت في الطبخ ، ووقف
بجسده يستد باب المطبخ ونظر فالأفاه تشق الأرض في غطاء الحلة ،
تقال لها :

— راقنا ماذا أفعل ؟

تقاتل دون أن ترفع رأسها :

— تشر البصل وخرطه .

وتحرك ، وقبل أن يصل إلى البصل قالت له :

— تلب الحلة .

فاتجه إلى الحلة الموضوعة على النار وراح يقلب الخبيزة
في الماء المغلي ، واستمر في التقليب حتى أمرته أن يكف .

وراح يقشر البصل وهو يبعد وجهه عنه ، ولكن رائحته النفاذة
تسللت إلى خياشيمه وحركت دموعه ، ولحنته وهي تتجه إلى الحلة
الموضوعة على النار فابتسمت .

وقلبت الحلة في مصفاة تحتها وعاء ، واخذت تلك الخبيزة
بيدها لتصفيتها وهي تنظر إليه ، وبدأ في تخريط البصل فسالت
الدموع غزيرة من عينيه ، فضحكت ضحكتها الممدودة الناعمة
وقالت :

— دع البصل وتعال صف الخبيزة .

فقال في مكابرة :

— سالتهم من البصل وأصغى الخبيزة .

ومدت يدها النظيفة تجفف له دموعه بطرف جلبابه .

وانتهى من تخريط البصل فمد يده بذلك الخبيزة معها في المصفاة ، وارقطبت يده بيدها أكثر من مرة ، والتصق رأسه برأسها واختلطت الأنفاس وساء صمت قلق ، كان كل منهما ينعم بمشاعره ويقاوم الثورة المتأججة في نفسه ، ويخشى أن يرفع رأسه حتى لا تفضح العيون ما تطويه الجوانح .

ومر الوقت دون أن ينبس أحدهما بكلمة ، هي تتظاهر بالانشغال بالحلة الموضوعة على النار وهو إلى جوارها يتطلع إلى ما تفعل كأنها يريد أن يعي درسا ، كانت عيناه تتسللان من جيب صدرها ليكشفها سره .

وقال عرفة وقد أشرق وجهه :

— عرفت كيف تطبخ الخبيزة .

تالت فردوس وهي تدير رأسها وتنظر في عينيه :

— ستصبح ناشطباح قبل أن تصبح باشمهندس .

وبسحت ولكزته بمرغقها في صدره في خمة ، غابتسم وتقدم خطوة وفي جوفه اغراء بأن يضع يده على كتفها .

وانتدحت محبس موقد الجاز فخببت النار حتى خمدت ، ولكن النار التي كانت ترعى في أحشائها ظلت تلتظى ، وتحركت ووضعت جردلا تحت الصنبور وراحت تملؤه ماء فراح عرفة يشهر عن ساعديه ، فقالت له :

— ماذا ستفعل ؟

— سأسحق الشقة .

— لا ، اذهب وذاكر .

— والله لن يمسخها اليوم أحد غيرى .

وبد يده وحمل الجردل ، وقبل أن يتحرك قالت له :

— انتظر . ارفع جلبابك حتى لا يبتل .

وقبل أن يضع الجردل على الأرض مالت وتناولت طرف جلباب ، ورفعته وراحت تشده فى قوة حول وسطه وثبتت بعضه فى بعض ، فصار الجلباب من تحت وسطه طيقتين ، وتعرفت ساقاه ولاح فيهما زغب خفيف من الشعر .

« انثنى وبين يديه خيشة المسح ، واخذ يمررها على البلاط فى سرعة وهز ينقهقر ، وكاد يرتطم بفردوس فصرخته بكفها على كفه وقالت :

— حاذر .

ونظر اليها من بين ساقيه المفتوحتين وابتسم ، فضحكت فردوس مسحة طليقة مرحة جلجلت فى المكان حتى غطت على صوت المفتاح الذى دار فى باب الشقة الخارجى .

ومسكت ضحكتها مسامح الشيخ سويلم متقدم على أطراف أصابعه ونظر ، فالتفت عرفة منهكا فى المسح وزوجته قد علقته طرف نوبها بأصبعها حتى لا يبتل ، وراحت تقول :

— عرفة ! كفى وسطك اتحل .

وتحنح الشيخ فدارت فردوس بنصفها الأملى ونظرت ، وظل عرفة تانضا على الخيشة وان ، لم ينظر من طرف عينة ، وقالت فردوس :

— بسم الله الرحمن الرحيم . آمين . خلعت ؟

نقال الشيخ سويلم وهو سائر فى طريقه الى غرفته :

— من الباب .

ورمى عرفة بنظرة نعت عن ضيقه ، وزاد فى مرارته لما رأى

ساعدي الفتى المفتولتين ، كان ينفس عليه شبابه ويغار من فتوته
فى اغياره ، وأن لم يكن يعى حقيقة مشاعره ، ودخل غرفته
وفردوس خلفه ، وأحس رغبة فى تقريعبها ولكنه كبج عواطفه ..
خشى أن يستسلم لثورته فيبالغ فى ايلامها وهو لا يحب أن يمزق
قلبها ، فهو يهواها ويهيم بها حبا على الرغم مما يبدو منها من رعونة
أحيانا .

ووطن النفس على الصمت حتى تهدأ نفسه ويخبو شره
ويختلج بها فى الليل ، فيفضى اليها بما يريد أن يقوله وهو
بداعبها .

ومدت فردوس يدها نعاونه على خلع ثيابه وقالت :
— أحضر العشاء ؟ الخبيزة ساخنة .
— هيا .

وخرجت وبقي وحده يفكر ، وراح يمرر يده على جبهته ليمسح
المشاهد البغيضة المتناثرة التى نبتت واختلطت فى رأسه .. عرفة
وهو يختلج النظر الى مخذ زوجته العارية .. وبائعات الهوى
جالسات أمام حوائيتهن ، فقد كان لفظ « الخبيزة » الذى كان
يطلق على حينه كخيلا باقامة الحى فى ذهنه نابضا بالحياة وأن
كان قد اندثر من سنين بعيدة .

وتسلم وراح يغدو ويروح فى قلق ، وارتفع صوت فردوس
يدعوه للعشاء :
— تفضل .

وانطلق مهرولا ليفر ، وجلس الى الطبلية وهو
يمد يده الى طبق الخبيزة ، ولكنه توقف قليلا وتفرس فى وجه
عرفة ثم القفت الى زوجه ، فلما تيقن من أن مخذها ليست عارية
بدأ يأكل .

وانتهوا من طعامهم ، وانسل عرفة الى غرفته ليستنكر

فردوس : ، واغلق الزوجان باب غرفتهما عليهما .
تهددا في السرير ، وأحكم سويلم الغطاء عليه وشرد ببصره
قليلا ثم قال :

— انى. أفكر في عرفة ، لماذا يتجشسم اهله ارساله الى
المدرسة ؟ لماذا يحرمون أنفسهم من معاونته ؟
فقلت فردوس في حماسة :

— ليخمنوا له مستقبلا أفضل . بعض سنوات من الصبر
تزيد نأدته .

— انهم سيخسرونه الى الأبد . . لو أبقوه معهم وزوجوه
لضمنوا نفعه .

فقلت فردوس في أنكار :

— عرفة يتزوج ؟ ! انه لا يزال طفلا .

نقال سويلم وقد لوى شفته السفلى :

— تزوجت أول ما تزوجت في مثل سنه .

فقلت فردوس في سخرية :

— ولماذا كانت المجلة ؟

ولم ينطق الى سخريتها ، وشرد يجتر ذكريات شبابه في نشوة ،
(وقد آثر أن يطوى حقه على عرفة بين جوانحه) بينما رن صوت
فردوس في أعماقها وان لم تتحرك شفقاها يقول :

— يا وكسه ! اخذتك لحما وتركتك لى عظما ، مصتك مصا

وجئتني جانبا ، آه لو تزوجتني وأنت في الخامسة عشرة !

مدفنت دماؤها الحارة في عروقتها واشتعلت النار في
جسدها ، فوضعت شفتيها الملتهبتي على شفتيه ولكنها كانتا
كجثة هامدة .

عاد في القصر مسرعا كعادته ، يعاون فردوس ويعيش معها
أسعد لحظات يومه ، وراح ينقر الباب بأصبعه فقرا خفيفة ، ولم
تخف فردوس كعادتها بل ظل الباب موصدا مدة ، ومس أذنيه
صوت هرولتها في قدومها فتاهبت حواسه لاستقبالها . . خفقان
لذيذ في القلب ، نشوة مدغدغة في الصدر ، بريق خاطف في
العين ، لسان رطب يمر على الشفتين .

ونتج الباب ولم تنبس فردوس بكلمة ، كان جبينها يلمع
وحاجباها مزججين ، وخدها متوردا من أثر التنف ، وكانت يدها
خلف ظهرها تخفي شيئا ، فمطن الى ان الحلوى لا تزال بين
أصابعها ، فرقت على شفتيه بسملة وزاد تالق عينيه ، ورننت اليه
فردوس بقوة كلها خبث ، ثم هرولت الى غرفتها وواربت بابها .
ودخل غرفته ووضع كتبه وخلع ثيابه ، وجلس على الأريكة ،
ولكنه لم يستطع ان يستقر فنهض وسار حتى دنا من غرفتها ، ومد
بصره محاولا ان يرى ما يجري هناك من فرجة الباب وهو يستشعر
قلقا مشتهى ، ورغبة جامحة ، ومشاعر رقراقة تعربد في جوانحه .
كان يعرف حقيقة ما يجري خلف الباب ، فقد كان وهو غلام يرقب
ما تفعله النسوة بالحلوى في اهتمام ، حتى ان كل تفاصيل العملية
حفرت في ذهنه .

وعجز عن أن يكشف شيئاً ، ولكنه رأى بعين خياله فردوس
وهي شبيهة عارية ، وقد اضطجعت وراحت تزيل الشعر من كل مكان
ينبت فيه من جسمها ، فتدفقت الدماء حارة في عروقه ، وراودته
أفكار دائرية راحت تحرضه على أن يقتحم الباب وأن يطفىء النار
المشبوبة في أحشائه ، ولكنه كبح جماح نفسه جاهداً وعاد إلى
غرفته وهو في شدة الانفعال ، وألقى بجسمه على الأريكة وأخذ
ينظر إلى عروق السقف وهو مساهم ، وشرد بذهنه لماذا به يجد
نفسه وهو غلام لا يتجاوز السادسة من عمره يلعب في القاعة إلى
جوار أمه ، وفاطمة جارتهم الشابة المخطوبة التي تنتظر انتهاء
موسم القطن لتزف إلى زوجها تقبل وتقول أنها وحدها وقد ضاقت
بوحدها ، وتلتبس من أمه أن تسمح له بالبقاء معها لمؤاساتها حتى
يقبل أحد من أهلها الذين ذهبوا إلى الغيط .

ورأى أمه وهي تطلب منه أن يذهب في نبرات راضية ، كانت
مسعدة بذهابه لتتخلص من شقاوته أو لتبعده حتى تستطيع أن
تفعل في حرية ما تتحرج من أن تفعله أمامه ، ورأى نفسه وهو
ينهض متثاقلاً فهو يحب أن يكون إلى جوار أمه دوماً لا يفارقها .

وأخذته فاطمة من يده وهي تداعبه ، وانجها إلى دارها التي
تبعد عن دارهم بضع خطوات ، ودخلا إلى القاعة وأغلقت فاطمة
الباب خلفها ، وسارت به حتى أوغلت في القاعة ثم جلست في
الظلام وجذبته من يده وضمته إلى صدرها وراحت تقبله .

فطن على الرغم من صغره إلى أن قبلاتها تختلف عن قبلات
أمه ، فقبلاتها حارة وأنفاسها التي ترتطم برجعه أكثر دفئاً وسرعة ،
وصدرها في ارتفاع وانخفاض ، ويدها تضغط عليه في قوة
وانفعال .

وطلبت منه أن يلف ذراعيه حولها وأن يضمها غفعل ،
واستشعر احساسا غريبا لما التصق صدره الشحيل، بمصدرها
الممتلىء ، وسكنت الراحة في غواده فاستكان لها وتركها تفعل به
ما تشاء ، وهو سعيد غاية السعادة بما تفعل .

وأستلقت على الأرض وذراعيها حوله . وجعلت دائي أفعالا
لم يشهدا من قبل ، وهو يتلقى كل ما تفعل مفتوح الاحساس ،
يكتسبه تجارب جديدة قبل الاوان . . واستمر لحظات يحس
احساس النائم الذي يعيش في رؤيا بهيجة .

وراح الوقت يمر وهو بين يديها ، يلي رغباتها دون أن يجعل
أو تنشئ في أوصاله رعدة . . كان سعيدا بالدنيا الجديدة التي
تتهتك استارها أمام عينية المبهورتين .

وتركته بعد أن عرف أشياء لا يعرفها أغلب شباب القرية إلا
ليلة الزفاف .

وصا - يتردد عليها في كل وقت تخلو فيه دارها من أهلها ،
وما أكثر ما كانوا يتركونها وحدها ، وكان يمضي أغلب الوقت معها
في دعابة ولعب وعناق ، وأصبح يتبعها ككلب أمين لا يفارقتها .

وكرت الأيام وهو سعيد بالعالم الجديدة التي راح بجوس
خلالها ، وجاء يوم زفافها فحملوها إلى دار زوجها وهو واقف
ينظر ، يحس احساس الطفل المدلل الذي سلبوه دميته .

وعابت فاطمة من حياته ، ونسيها ولكنه لم ينس الدرس الذي
لقتته ، نصارت لعبة (العروسة والحريس) هي اللعبة المفضلة
عنده ، راح يجمع غلمان القرية الذين في مثل سنه ويجمع الفتيات
الصغار ويخطب من بينهم عروسا لنفسه ، ثم يقوم الأولاد بالعليل
والزمر والرقص والطلاق الزغاريد بيئا يأخذ هو عروسه ويختلي

بها في ركن من بيت أو مكان مهجور ، ويأخذ في ممارسة ما علمته فاطمة .

وراح يستعرض في ذهنه فتيات القرية اللاتي لعب معهن لعبته المفضلة ، كن فتيات صغيرات غريبات بين يدي خبير مجرب ، وإن لم يتجاوز السادسة .

وقفز بذهنه السنين ليفر من صور الصغيرات اللاتي لم تعد صورهن تثير في نفسه شهوة ، ورأى حقلا ممتدا يبدو في ضوء القمر كأنها أريق على نباته ذوب من الفضة ، وهو يلعب فيه مع بعض الرفاق من الأولاد والبنات « الاستغماية » . كان على اعقاب الثانية عشرة وكان يعتمد أن يختفي مع فتاة نامية في الجرن أو خلف الساقية ، وكان يطول اختفاؤهما ، يحاول أن يجر الفتاة إلى ما كان يجر إليه الصغيرات الغريبات ولكنه يخفق فيكتفي بالضم والقبل .

وسرعان ما تزوجت الفتاة ، وقابلها بعد زواجها في خلوة فأسرع إليها بقبلها ، فقالت له وهي ترنو إليه من طرف عينيها :
— اننا لا نقبل الآن .

وحسب يومها أنها تحذره من الاقتراب منها ، ولم يظن إلا الساعة وهو يتلمل في الأريكة ، إلى أنها كانت تدعوه إلى ما يشتهي ، فيدير وجهه ويمد بصره إلى الباب الذي يخفي خلفه فردوس شبه عارية .

ونهض متوتر الأعصاب مرهف الاحساس ، تجري الدماء الحارة في عروقه وتهجس في نفسه هواجس تستبد به وتدفعه دفعا إلى حيث تختفي فردوس ، فيسير مسلوب الإرادة حتى

إذا ما دنا من الباب يستيقظ فجأة ، ويشند وجيب قلبه وتسمره
رهبة عارمة في مكانه ، ويتلفت حوله وهو زائع البصر .

ومس أذنيه صوت مفتاح يدور في الباب فانخلع قلبه وطار
نفسه ؛ سعاعا ، وفر مرعوبا إلى غرفته وهو يزفر في صوت
مسموع ، فزاد اضطرابه خشية أن يصل زفيره إلى مسامع الشيخ
القادم فيفطن إلى مشاعره الخبيثة التي تطفح بها نفسه .

ودخل الشيخ سويلم وهو يتلفت في ريبة ، فلما وقعت عيناه
على غرفة والفاه في غرفته وحده اللج صدره ، وسار إلى غرفته
وهو يضرب الأرض بقدميه ويتفحج ليوهم فردوس أنه على عهده
لم تثبت في نفسه بذور الشك ، وأنه سليم القلب نقي السريرة .

ودخل الشيخ غرفته ، واشرب عرفة بعنقه ليوى بعينه ما رآه
بخياله ، ولكن الشيخ أوصد الباب خلفه في رفق ، ومرت لحظات
انطلقت بعدها ضحكة فردوس المنغمة الطويلة الزاخرة بالنداء ،
فأرهفت حواس غرفة جميعا ، واستيقظت فتوته فراح يغدو ويروح
في الغرفة وقد اتسعت عيناه ، يبلل شفاهه بلسانه .

وخرج الشيخ من الغرفة مسرعا وفردوس تشيعه بضحكاتها ،
وذهب إلى حيث كان غرفة فإذا بجميع مشاعر غرفة تموت فجأة ،
ولم يبق إلا نبض يتردد برهبة خفيفة ، تركت أثرا في العيون
المفتوحة .

واخذ الشيخ يجاذب الفتى الحديث في ود يسأله عن المدرسة
وعما يفعله فيها ، وغرفة يرد ردودا مقتضبة وهو مطرق . وتحدث
الشيخ طويلا ورفع عرفة عينيه ينظر إلى موقع بصره على خيط
رفيع من الحلوى على خده ، فتيقن أن فردوس كانت تداعبه بالحلوى

ففر منها ، وهمت بسمة بأن تولد في قلبه وإذا مغول الغيرة يتحرك
ويبتلع البسمة ويأخذ في نهش جوفه ، فيطأطأ رأسه أسفا وفتتشر
مرارة نفسه حتى يكاد يتذوقها بغمه .

وخرجت فردوس من غرفتها وانطلقت الى المطبخ ، وظلت في
غدو ورواح لا يجرؤ عرفة على أن يخف اليها يعاونها وإن كان
يشتهى ذلك في اعمائه ، ولا يلوى الشيخ عتقه ليراها خشية أن
تلتقى عيناه بعينيها فيضحك برغمه ، وهو لا يحب أن يظهر أمام
الصبي عابثا .

كان الشيخ يحب فردوس من كل قلبه ويتمنى أن يشبع كل
رغباتها ، ولكنه كان على ثقة من أنه ليس كفئا لها ، فبينهما هوة
من السنين سحيقة تعيب علاقاتهما بالفتور ، لذلك كان يسرف في
العطف والخضوع ويتحمل نزواتها راضيا لعل ذلك كله يعوض
ما لا يملكه .

وباعت فردوس ووقفت عند الباب وقالت :
— تفضلا .

وتحرك الشيخ والشاب خلفه ، ومر الشيخ بفردوس وهو
يفض من بصره ويكتم بسمة ولدت طلائعها على شفثيه ، ومر عرفة
بها وراح يتفرس في وجهها الذي اشتدت حبرته من أثر الحلوى فإذا
بمشامره تتنقظ ، وبقلق شهى يتحرك في جوفه ، وبرغبة عارمة
تمور بين جوانحه وتسرى في بدنه رعدة محمومة ، فقد ارتبطلت
الحلوى في ذهنه بتصورات تثير شهواته .

وجلسوا حول الطاولة وقد أسبل كل منهم عينيه . . لم يكن

أحدهم ليقدّر أن تلتقى عيناه بعيون الآخرين ففي رأس كل منهم فكرة
يحرص على أن تظل سرا مكنونا .

وراح غرفة يأكل في فتور ، وسرعان ما غادر الطبلية وانطلق
إلى غرفته وفتح كتابا وأخذ يقرأ فيه ، ولكنه لم يفقه مما يقرأ
شيئا . . كان مشغولا عن كل ما حوله بالأفكار المعقدة في رأسه .

ودخل الزوجان غرفتهما وأوصدا بابها ، فنحى غرفة الكتاب
والقى به على الكنسول وتمدد في فراشه وأرخى لحياله عنانه ،
فراى نفسه في الدار في القرية وقد نام مع أمه وأبيه وأخوته في
غرفة واحدة . كان يغمض عينيه وينام ولم جفنيه قبل أن يعرف
مأظمة ، ولكنه بعد أن عرف ما بين الرجل والمرأة كان
يتظاهر بالنوم ويحاول أن يظل صاحيا ليرى ما يفعل والداه ،
ولكن ظلام الغرفة كان ثقيلًا وكان النوم يغلبه قبل أن يحس شيئا .

وراح يتململ في فراشه وصورة مأظمة حاضرة في ذهنه ،
يتمثل ما كأنها يفعلان فيزداد أنفعاله وتزداد ثورة نفسه ، ومر الليل
في تصورات ولم يتم إلا غرارا .

كان الليل يرخى أستاره ، والهدوء شاملا لا يعكره الا نقيق الضفادع ونباح كلب بعيد ، ونسيم الريح يحمل أريج الحقول . .
وراحت فردوس تتقلب في الفراش وتغطى وجهها بذراعها وهي مسبلة جفونها . . كانت تخشى أن تفتحها يغير النوم من عينيها .

وأخذت مشاعر الحب والحنين تنبثق في أغوارها واندلعت نار الصباة في حناياها ، واستشعرت رغبة مستبدة تمور بين ضلوعها فتقلب على جنبها بحيث أصبح وجهها ناحية الشيخ الذي كان يغط في نومه ، ولفت ذراعها حوله وضمت في قوة لتسكت الصراخ المنبعث من كل مشاعرها ، وظل الشيخ في سباته لا يحس النار المتأججة في الجسد الصنّادى الذي يهفو الى اطفاء الظلم .

ومكرت في أن تهز سويلم وأن تعتمد أن ترتطم به في تقلبها حتى يطير النوم من عينيها ، ولكنها وأدت الفكرة بعد أن ضاقت بها . . وكانت واثمة أنه حتى لو استيقظ واستجاب لدعائياتها فلن يهدىء عواطفها المشبوبة ، بل سيزيد أوارها ويزيد في ضيقها .

وراحت تزفر حمم صدرها وتحاول أن تغرى النوم ليداعب جفنيها ، ولكن احساساتها المتوترة كانت تطرد الكرى ، وتجلب الى ذهنها أخيلة توقظ مشاعرها وتثير وجدها .

وسرى في الجو مواء قطرة ، وراح المواء يتردد ويمتد حتى صار أشبه بالآتين . كان مشحونا بدعوة صارخة للجنس ، فارتدادت مشاعر فردوس أرهاقا وتضخمت رغباتها حتى ملأت جوانحها ، وأحسست كأن أبخرة من الاشتهاء تضغط صدرها حتى تكاد تكتم

أنفاسها فلم تستطع أن تظل راقدة ، بل جلست في سريرها مبهورة
النفوس .

وراحت تتلفت حولها فأنفت الكون كله يستشعر اقبال الربيع
الا ذلك الجسد الغائى الملقى الى جوارها تتردد فيه الأنفاس كما
تتردد في منفاخ ، فضاقت به وتحركت في أعماقها مشاعر البغض
والكراهية .

وولدت في رأسها فكرة أن تذهب الى غرفة عرفة تصلح وضع
الغطاء عليه ، لعل حركتها تقتل ثورة عواطفها . واستراحت للفكرة
فتحت الغطاء عنها وهبطت من السرير في خفة ، ووقفت تصلح
نوبها ثم سارت على أطراف أصابعها حتى لا يستيقظ زوجها .

وخفق قلبها بين جوانحها وانتشرت مشاعر من القلق اللذيد
في حناياها ، وانطلقت مسحورة تقودها عواطفها فقد صار رأسها
هواء . ودلفت الى الغرفة الفارقة في الصمت التي لا يقوى على
تبيد ظلامها النور الخافت المنبعث من المصباح المعلق في المطبخ ،
فطافت بها احساسات غاية في الرقة ما كان يعكرها الا ذلك الخوف
الواهن الذي لا تدري له سببا .

وتقدمت كالطيف الى حيث يرقد غرفة ووقفت تنظر اليه وقد
سرت فيها رعدة ، وجعلت تتطلع الى وجهه طويلا ومشاعر كثيرة
تتجرجر في جوفها وأنكار غير واضحة بدأت تبذر بذورها في رأسها .
ووقعت عينها على الغطاء الملقى على الأرض فمالت وتناولته
وراحت تبسطه على البنى النائم ، ودنا وجهها من وجهه فاذا
بأنفاسها الحارة تختلط بأنفاسه ، واذا بيدها ترفع وتأخذ في
المرور على رأسه في حنان دافق .

وثبتت نظراتها على شفقيه ، فاشتد وجيب قلبها وجرى الدم
حارا في مروقها ، ومشى خدر لذيذ في أوصالها وطأمت بها غيبوبة .
ووضعت شفيتها على شفقيه وأخذت تقبله وهي ترتجف ،

وهتك السكون مواء القطرة المشحون بالنداء فانهارت جدر حصونها
المداعية ، ولفت ذراعيها حوله وطفقت تضمه اليها في جنون ..
واستيقظ عرصة على الضم والقبل فأخذ لحظة ، ولكن سرعان
ما أفاق من اثر المفاجأة وراح يندمج في الجو الذي وجد نفسه فيه
بغثة ، فلف ذراعيه حولها وجعل ضغطهما يشتد عليها كلما زادت
حرارة مشاعره الفتية التي تثيرها أقل مداعبة .

ولغهب صمت لم يكن يعكره الا الانفاس الملتهبة والهمسات
المكتومة ، وصوت نفث شيخ خافت ، وطفرت الدموع من عيني فردوس .
لم تكن دموع الندم على الخطيئة التي تمارسها ولا على الشرف
المدنس ، بل كانت دموعا تنفس عن النشوة المتفجرة في فزارة في
اغوارها والسعادة المعقدة في كل خلجة من خنجات نفسها .
ومر الوقت وهما غائبان عن الوجود ، انفصلا عن كل شيء الا
عن أنفسهما بل زاد احساسهما بذاتهما ، وخبث النار المظلمة في
الجوانح فانسلت فردوس وعادت وهي تسير على أطراف أصابعها
وتصلح شعرها بيديها .

واندست في الفراش ونظرت الى الشيخ المائي الذي يغط في
نومه ، فلم تتحرك مشاعره الاشمئزاز التي كانت تتحرك كلما قامت
في الليل وهي تتلوى من الظلم وهو هاديء ساكن لا يستشعر
ما تكابده من مشاعرها الثائرة .

وبدت يدها ورنعت الغطاء عليه وأحكمت حوله ، ثم تبددت
وقد وضعت رأسها على كفيها وشردت تفكر في اللحظات المقرعة
بالمحنة التي مرت بها ، فلم تختلج فيها خلجة ندم بل كانت تستشعر
سعادة طاغية . وتمنى النفس بحياة كلها لذة .

وارتسم على محياها رضا ، كانت تحس زهوا أنها انتصت من
المجتمع الذي ظلمها يوم قدمها ضحية الى ذلك الشيخ الذي لا يقدر
عليها .

ومشى الفتور في جفنيها فنامت ملء عينيها وهي تشهق وتزفر
في انتظام ينم عن راحة تامة ، ورفعت على شفقيها بسمة خفيفة
تطوف دائما بالفارق في حلم بهيج .

واشرقت الشمس وهي في نومها ، لعميق ، وراح سويلم يغدو
ويروح في الغرفة وهو يتطلع اليها في استغراب فما كانت تنام من
قبل حتى هذه الساعة . اعتادت أن تستيقظ معه في الفجر تعد له
القهوة وتلبس طلباته .

وتقلبت في تكاسل وتمطت وفتحت عينيها في فتور ، فلما وقفتنا
على سويلم ابتسمت وقالت :
— صباح الخير .
فقال وهو يرنو اليها في ريبة :
— نوم العوافي ! عيني باردة عليك .

فرفست الغطاء بقدمها ورفعت رجلها الى أعلى ، ثم قفزت من
السريр في حركة رشيقة واصبحت منتصبية على الأرض أمامه .
وأحسست في أعماقها أن عليها أن تفسر أسباب السعادة التي تشع
من عينيها والتي تستشعرها في كل حركة من حركاتها ، فنظرت
الى زوجها في خبت وقالت :
— حلمت بالأمس أنك ..

ووضعت يدها على أذنه وهمست بكلمة ، ثم ضحكت ضحكتها
المحدودة الزاخرة بالفداء .. وتحركت سعيدة ، وقبل أن تغادر
الغرفة التفتت وقالت :

— أعدد الافطار الآن أم بعد أن أستحم ؟

وقال في صوت خافت .

— لا داعي للعجلة ، ففطر بعد أن تستحمي .
وسرت في صدره غيره لم يدر لها سببا .

وصار مسوئلا يرقبها بعين ملؤها الريبة ؛ فقد أحس في أعماقه أنها تبدلت بعد إقبال عرفة ، وأصبحت امرأة أخرى أكثر فتنة واشد رقة وعذوبة .

بات كلما نظر إليها ورأى ازدياد تورد وجنتيها ونفتح نفسها وسريان حياة جديدة في أوصالها ، يستشعر بالغيرة فتلسع روحه وبالصبق بقبض صدره ، ويمرارة تعصف بكيانه ، وبحسرة قاتلة تكاد تكتم أنفاسه .

إنها نتودد إليه توددا زاد على ما ألفه منها ، وكثر تقبيلها له ، ولكن قبلاتها تبدلت وصار لها طعم آخر . لم تعد قبلات محبومة يحس حراؤها في روحه وإن عجز عن أن يستجيب لها ، ولا قبلات مجاملة ، ولكنها قبلات فيها رضا المرتوى وفرحة السعيد .

كان يرى تحت عينيها مولد تعاسة أخفقت ضحكاتنا المنطلقة الزاخرة بالنداء في أن تخفيها ، بل كانت تشعلها وتزيد لها ضراما ، وقد اجثنت تلك التعاسة ونبتت مكانها مسعادة عارمة كدرت صفو حياته ، فقد كانت توسوس في نفسه باتهامات بشعة تزلزل أرجاءه . وتثير في روحه كوامن الكراهية والبغض والغيرة .

ربذر في صدره الواهن قلق ، لم يعد يستطيع أن يستقر هادئا في مكانه ، كانت فكرة خبيثة تترع رأسه فجاءة ، وصورة مقيبة تجمع بين زوجه وعرفة تحتل خياله فيفزع ويعود إلى البيت مهرولا محموما ، ويضع المفتاح في الباب ويديره في حرص ويتقدم على

أطراف أصابعه فيجدها معا في المطبخ أو في غرفة الصبي ، ولكنه لا يرى ما يشفى غليله فيضطر الى أن ينتقل عذرا لعودته المفاجئة ثم يتصرف وهو حائر لا يعرف له شاطئاً ، تبعث به أنواء نفسه وتلعب به أمواج مشاعره المتقلبة العنيفة .

وأحس بها ذات ليلة وهي عائدة من غرفة الصبي ، فاشتد اضطرابه وربما قلقه وخفق قلبه في عنف ، فالتصّب جالسا في سريره وقال في صوت متهدج نم عن انفعالات نفسه :
— أين كنت ؟

فلم تجفل ولم تضطرب ولم تقل أنها كانت تقضى حاجة ، بل قالت في هدوء :
— كنت في غرفة عرفة أحكم الغطاء عليه .

وصعدت الى جوار زوجها المنفعل وتبلته قبلة هادئة ، ثم تهددت في فرائشها وسرعان ما مشى الوسن الى أجفانها ، وراحت انقباسها تتردد في اطمئنان وظل هو يرمقها في قلق يراوده شك قاتل ، وخطرت له فكرة أن يضغط على عنقها الجميل بيديه ويكتم انقباسها ، ومال نحوها وإذا به يطبع على خدها قبلة .

كان يحبها من كل قلبه ، وكان في قرارة نفسه يحس أنه عاجز عن اطلاقها فمكان لا يبخل عليها بشيء يملكه ويبالغ في أرضائها لعله يعوضها عما لا يستطيع أن يمدّها به ، فكان يغفر لها بعض نزواتها ، وإذا ما فعلت ما يثير غيظه انقلع مدة ، وراح خلالها يجهد نفسه في إيجاد المبررات التي تشفع لها عنده ، ويستمر في اقتناع ذاته المتمردة حتى ترضى وتفتشع السحب المتلبدة في صدره .

كان هائلا قبل ورود ذلك الصبي ، ولكن صفو حياته تكدر بعد أن جاء غرفة الى البيت وأصبح موضع اهتمام فردوس ، فقد أصبح

يقاسى وخز مشاعره ولسع سخريته من نفسه لغيرته من غلام أصغر
أولاده اكبر منه !

وعاد بعد الغروب كما اعتاد أن يعود كل يوم وقد وطن العزم
على أن يترك الباب وأن ينتظر حتى تفتح له زوجه ، ففى هذا
ايحاء بالثقة فى نفسه وفى زوجته ، ولكن ما أبى بلغ الباب حتى
أخرج المفتاح وأداره فى الباب فى حرص شديد ، ودخل على
أطراف أصابعه يتلفت .

كانت فردوس فى غرفة عرفة والصبى ممدود فى فراشه وهى
تميل فوقه فى حب وتمرر يدها على جبهته فى حنان . انقبض
قلبه وأحس كأن يدا قوية تهصره هصرًا ، ومطرقة هائلة تدق رأسه ،
وظلمة من الحق تنسدل على ذاته فتعمى وعبه ، فيتقدم مسلوب
الإرادة كل ما يحسه رغبة جارفة تغريه بالبطش بهما .

وشعرت فردوس به فلم تجفل ولم ترفع يدها عن جبهة الفتى ،
بل زادت دنوا منه وميلا عليه وقالت فى هدوء :
— سويلم ، ناولنى ليمونة من المطبخ .

ووقف سويلم ينظر مشدوها دون أن ينبس بكلمة . كان غضبه
قد بلغ نهايته وكان نفسه يتردد متتابعًا فى صدره ، وقالت
فردوس :

— عرفة محبوم ، أظن أنه سار مدة فى الشمس .

وسرعان ما تبخرت مخاوف سويلم وصفا جوفه وسلم قلبه ،
فقال ناسحا :

— صبى فى أنفيه ماء وملحًا .

فقالت فردوس وهى ترفع عرفة بين يديها وتصلح الوسادة
تحت رأسه .

— آتني به .

وذهب الشيخ الى المطبخ يذيب الملح في الماء ، ومالت فردوس على الحصى تقبله وتضمه الى صدرها .

وعاد الشيخ بكوب ماء أذيب فيه ملح ، ومدت فردوس يدها لتأخذ منه الكوب ولكنه تقدم وراح يصب الماء في أذني الفتى ، ولما انتهى من عمله التفت الى فردوس وقال :
— من الأفضل ان نتركه وحده يستريح .

وسار وهو بحسب أن زوجه ستتبعه ولكن فردوس بقيت الى جوار النني تزيد حرارته ارتفاعا بقبلائتها .

ونخل سويلم غرفته وأخذ يخلع ثيابه وحده وهو يستشعر ضيقا ، رزيث ولكن فردوس لم تقبل فنادى :

— فردوس .. فردوس .

فأقبلت متبرمة وقالت :

— ماذا تريد ؟

فقال وهو يشيح بوجهه عنها حتى لا ترى الكدر في عينيه :

— أعدى العشاء .

ورفعت الى المطبخ وسرعان ما كان الطعام معدا ، وعادت الى زوجها ومالت :

— العشاء عندك .

وهبت بالانصراف فمال لها :

— ألا تأكلين ؟

— كل أنت .

وانطلقت الى غرفة عرفة ، وجلس الزوج يتناول طعامه وهو

يتلفت ، يحس كراهية لذلك الفنى الذى سلبه زوجته وجعله
يأكل لأول مرة وحده .

وقام الشيخ ولم يسغ طعامه ، ودخل غرفته وجلس ينتظر
عودة فردوس ولكنها ظلت الى جوار الفتى تمرضه ، فشاق صدره
ونفد صبره ونادى فى انفعال :

— فردوس .. فردوس .

واتجهت فردوس اليه وهى ضيقة بندائه ، ووقفت أمامه وقالت
فى استغفاف :

— نعم !

فقال غاضبا :

— تريد أن تنام .

فقال وهى ترمع الغطاء عن السرير :
— السرير أمامك .

فاتسعت عيناه الضيقتان وقال فى انكار :
— وأنت ؟

— كيف أتركه وحده وهو مريض ؟ !
فقال فى فزع :

— اتقضي الليل فى حجرته ؟

فقالت فى هدوء وهى تبسم :

— وماذا فى ذلك ؟ !

— يا ابن قمامين ؟

— على الأرض بجوار فراشه ، حتى إذا احتاج الى شيء لببت
تدأه .

فقال الشيخ فى انفعال :

— لا ! لن يكون شيء من ذلك . . ستنامين هنا في سريرك .

وأحسست الثورة في نبراته فقالت وهي تدنو منه وتداعبه :

— لا تحزن ، سأنام إلى جوارك .

واخذت في اعداد فراش على الأرض بالقرب من السرير ، فقال

الشيخ في دهش :

— ماذا تفعلين ؟

فقالت دون أن تلتفت إليه :

— سينام معنا حتى لا أضطر إلى أن أذهب إليه مرارا في الليل

الاطمئن عليه .

فقال في ضيق :

— ألا تتركينه وحده في غرفته ليستريح ؟ .

فقالت وهي تدنو منه وعيناها في عينيه :

— أنه مريض .

ومالت على الشيخ وطبعت على خده قبلة لم يرتج لها بل

حركت وستاوسه ، بات يخشى ذلك العطف الذي تغمره به منذ قدم

غرفة إلى دأره ، ومارت في جوفة انفعالات تنهش صدره ولكنه ظل

مطرقا لا تتحرك شفاه بكلمة .

وانطلقت إلى غرفة وطلبت منه أن يقوم لينام معها ومع زوجها

في غرفة واحدة ، ولكنه أبى فظلت توسوس له وتغريه حتى أطامها

وسار إلى جوارها .

كانت حرارة غرفة مرتفعة قليلا ولكنه ما كان يحس نوعا .

ولو تركته فردوس لعكف على استنكار دروسه أو لنام ملء

جفنيه .

ودلف إلى غرفة الزوجين فتظاهر بالاعياء حتى خيل للشيخ

أن الفتى يئود ، وسندته فردوس بذراعها ومالت معه وهو يميل
ليتمدد في الفراش الميثوث على الأرض .

وراح الزوج يتلفت في حيرة وقد ملأ الحنق صدره ، وتحرك
حياؤه فتملكه خجل من أن ينام إلى جوار زوجة وفتى غريب معها
في غرفة واحدة .

وذهب إلى المصباح وخفت ضوءه ، ولو طاول نفسه لكتف
أنفاسه وترك المكان في ظلام دامس حتى لا يراه الفتى إذا التصق
جسمه بجسم فردوس عفوا ، وحتى لا تقع عيناه على ساقيها
إذا انحسر الغطاء عنهما .

وسار الشيخ نحو السرير وقد تقاصرت نفسه ، وصعد إليه
في حرص وخفة ، وأخذ يتمدد هونا حتى لا يثن السرير ويبلغ
أنينه مسامع الفتى الراقدة على بعد أمتار منه .

ومدت فردوس يدها وتناولت قميص النوم مخفق قلب الشيخ
في شدة ، واستولى عليه هلع خشية أن تخلع ثوبها في الغرمة
وتتفت نصف عارية تحت بصر ذلك الذي شاركه غرفة نومه رغم
أنفه . وفكر سريعا فيما يفعله لو هبت بخلع ثوبها دون أن يلتفت
نظر الفتى ، فقرر ربه على أن يقتل من سريره وأن يدنمها أمامه وهو
يحجبها بجسمه عن الراقدة على الأرض ويجرفها أمامه حتى تخرج
من الغرفة .

وتحركات فردوس وقميص النوم في يدها وغادرت المكان ،
فزفر الشيخ في راحة وأن ظلت أعصابه متوترة ، ومرت لحظات
من الصمت عادت بعدها فردوس وقد ارتدت قميص النوم وفي
يدها ثوبها .

وعلمت الثوب في المشجب وذهبت إلى السرير وصعدت فيه

ونامت في الطرف الذي يطل على غرفة النائم على الأرض ، وابتعد الشيخ عنها واستقر على الطرف الآخر .

وراح الوقت يمر ، وانتظم نفس الشيخ ثم راح يغط فغطا ، غرغمت فردوس وسطها وجعلت تتفرد في وجهه وتيقنت من نومه ، راكنا أرادت أن تتأكد أنه راح في سبات فبهزته هزا خفيفا وأصلحت وضع رأسه على الوسادة ، فخفت شخيرته وان ظل تفارقا في النوم .

ونحت الغطاء عنها في خفة ، وانسلت من جواره كما تنسل الأفعى وعيناها لا تفارقان وجهه ، ثم رقدت على الأرض الى جوار غرفة وانسدل عليهما غطاء واحد .

— ٧ —

عاد سريلم الى البيت قبل اذان المغرب فقد احتلت فكرة اختلاء فردوس وعرفة والشيطان ، فأحس ضيقا وقلقا ووحشا قاسيا ينهش جوفه ، ولم يستطع أن يصبر على قسوة مشاعره فانتطلق مغزوعا مكروبا النفس الى الدار .

ووضع المفتاح في حرص وأداره في أناة ودقات قلبه تدوى في أذنيه ، وفتح الباب وقبل أن يتقدم خطوة وقف مشدوها حائرا يفرح عينيه بظهور يده ليزيح الغشاوة التي انسدلت فجأة على عينيه ، خيل اليه أنه رأى فردوس وعرفة يبتعد أحدهما عن الآخر في فزع ، وراح وهمه يؤكد له أن لمها كان على فيه ، ولكنه لم يكن واثقا من اتهام أوهامه فقد خافه بصره ، لم ير شيئا واضحا ، كل

ما أحس به حركة سريعة لا يدري ان كانت حقيقة أو وهما من
الآلهام .

وتقدم خطوات وريبة شائلة تستولى عليه ويدا قوية تهرس
غواصة . . مر بين فردوس وعرفة وهو عابس الوجه ، ولم يلق
عليهما ذهية ولم ينبس بكلمة وقد أسبل جفنيه على عينيه ، خشى
أن يشع بسره على أحدهما فيفلت منه زمام نفسه ويتدفق السباب
والإتهام من فمه دون وعى .

يستل غرخته وفردوس في أثره ، وأحس أنباب يخلق عليهما
فريا تلقى ، وزاد اضطرابه لما تقدمت فردوس منه وأخذت تعاونه
على خلع ثيابه وهو يتحامي أن تلتقى عيناه بعينيها .

وجس على مقعد قريب من السرير يفكر في حقيقة مشاعره
الثائرة بين جوانحه . وهو يتطلع الى فردوس من بين أهدابه
فيحيره ذلك الهدوء الذى يغشاها . وكادت النار المندلعة بين
ضلوعه تخبو والهواجس التى تمور في أغوار تسكن ، ولكن
فردوس تقدمت منه وطوقته في دلال وقبلته قبلة طويلة لم يستشعر
حرارتها ولكنه أحسها سنا زعانا يسرى في بدنه .

ومرت فيه مشعريرة وهاجت وساوسه وتضخمت ريبته ،
وزادت النار المشتعلة في جوفه تأججا وراح هاتف من نفسه يؤكد
له ان ما رآه حقيقة وقعت وليس وهما من الأوهام .

وأخذت فردوس تتحدث وتضحك ضحكتها الممدودة الزاخرة
بالفداء . لا يعنى مما تقص شيئا ، فقد كان مستغرقا في المشاعر
المنبثقة في أغواره مصفيا لوسوسات الاتهام .

وقالت فردوس :

— ساعد العشاء .

وخرجت من الفسرفة وهو غافل عنها ، وان كانت أفكاره

ومشاعره وخلجات نفسه وخفقات قلبه ركزت أضواءها عليها ،
وراحت تحاول جاهدة أن تهتك الطلبة التي تغلفها لتبدو حقيقتها ،
عارية بلا أستار .

ومر الوقت دون أن يشعر به ، كان في شبه غيبوبة فقد فاضت
مشاعره حتى غمرته وكاد يفقد الاحساس ، وأفلق على صوت
فردوس وهي تقول :
— تفضل .

وقام صامتا وسار الى حيث وضعت الطلبة ، وقبل ان يجلس
أرتفع صوت فردوس ينادي :
— عرفة .. عرفة .. تعال .

وخيل للشيخ أن في صوتها رقة وأن له نغمة خاصة حانية
وأنه زأخر بالانفعالات ، وأن نطق اسم الفتى تم عن مشاعر كثيرة
كامنة في أعماق النفس الغامضة ، فاضطرب الشيخ حنقا واستبد
به الأسى .

والتنوا حول الطلبة وامتدت الأيدي الى الصحاف ، وساد
الصمت وراح الشيخ يرصد حركات الزوجة والفتى من بين أهدابه
المسبلة ، والتفت عينا فردوس بعيني عرفة أكثر من مرة .. كانت
نظراتها سائرة لا تفضح شيئا ، وتظاهر الشيخ بالانشغال عنهما
بورك الدجاجة الذي كان يعالجه بيديه ، وانتهرت فردوس الفرصة
ورمزت بعينها لعرفة في خفة ، ولمح الشيخ ما فعلت فأحس كأن
خنجرا سدده الى قلبه وتقيحت نفسه حتى خطر له أن يلقي بها في
يده في وجهها ، وأن ينقض على الفتى يغشبه أظافره في صدره .
وراحت نفاحة آدم الناتئة في عنقه تتحرك صاعدة هابطة ..
كان يجاهد في ابتلاع ريقه الذي جف ، وعامت نفسه الطعام فطفق
ينظر زائف البصر دون أن تتحرك يده .

وقطنت فردوس الى انه لا يأكل فمرمته برهة ثم قالت :
— لماذا لا تأكل ؟

وأرادت أن تداعبه فقالت له :

— اهلك تزوجت واكلت عند زوجتك الثانية !

وضحكت ضحكتها المدودة الزاخرة بالفداء ، وابتسم عرفة
وغض من بصره خشية أن تلتقى عيناه بعيني الشيخ ، وأحس
الشيخ قهرا ولم تتحرك شفاهه وإن كانت الفاظ السباب القاذرة
تندفق مع أنفاسه دون أن تخرج من فمه .

وابتعد عن الطبلية ، وقالت زوجها وهي تشير الى صفحة بها
عسل نحل :
— كل عسل .

ورن في أغواره صوت ساخر يردد : « كل عسل مع الناس ..
كل عسل مع الناس » ، فأنفخ وأنفص وأقتصب واقفا ليطرده ذلك الصوت
الذي يخزه وخزا قاسيا ويلهب روحه بسياط الاستهزاء ، وانطلق
الى غرفته وطلق يغدو ويروح وهو يشهق ويزغر في صسوت
مسهوع .

وراح صوت هاديء يعيد على مسامعه قصة الشيخ الذي
شكا اليه تلاميذه سوء سلوك زوجته الجميلة ، وظلوا يزينون له
الانفصال منها حتى طلقها وزوجوه امرأة شريفة هيمة . وجاءوا
اليه بعد مدة يسألونه رأيه في الزوجة الجديدة فقال لهم : كنت
أكل عسلا مع الناس فأصبحت أكل الزنت وحدي . ورن في أغوار
سويلم الصوت الهازيء « كل عسل مع الناس » فثارت نفسه ،
وأخذ يمرر يده على وجهه لي مسح المشاهد البشعة التي بدأت
تتشكل في ذهنه .

وأحس سويلم احتقارا لذلك الشيخ الذي سمح لنفسه ان

تعتزفة بأنه كان يأكل العسل مع الناس ؛ كيف رضى لنفسه هذا الهوان ؟ كيف رضى أن يمرغ شرفه فى الوحل فى يسر ؟ وراح يسب ذلك الشيخ ويلعنه كأنها كان واقفا أمامه ، وسرعان ما استشعر تقاصرا غقد خيل إليه أنه يسب نفسه .

وتلبدت ريبه وأوهامه فى صدره واشتدته نفسه قتاما ، غانها فى خياله مردوس وعرفة ضربا ولطما وصفعا ، وأخذ يلتقط أنفاسه فى جهد كأنها يلتقطها من ثقب ابرة . ودخلت مردوس الغرفة وأغلقت الباب خلفها ، واتجهت الى زوجها الذى كان يتحاشى أن تلتقى عيناه بعينيها وقالت :

— أنت مشغول البال الليلة ، فيم تفكر ؟

فقال دون أن يلتفت اليها :

— إن أقبل عرفة فى بينى بعد هذه السنة .. لن أقبله أبدا .

وطارمت نفس مردوس شعاعا وقالت فى خوف :

— لماذا ؟

— لأننى لا أطيق أن أرى رجلا غريبا فى بيتى .

فقالت مردوس وهى تجمع شتات أمرها :

— رجل ؟ .. غريب ؟ .. انه طفل .. تلميذ فى مدرسة ،

وسيطل طعلا حتى يتم دراسته .

فقال سويلم فى انفعال :

— انه رجل ، ولو تزوج الأنجب أولادا .

فقالت مردوس فى تحد وقد أفاق من المباغلة وملكت زمام عواطفها :

— وحتى اذا كان رجلا فسيظل فى بيتى ، انه قريبى ولن أقبل أن يقال اننى ضقت بقريبى وأوصدت بابى دونه .

— وأنا لن أقبل أبدا أن يقال إن بابي مغلق على زوجتي ورجل غريب .

— لا تقل « غريب » . انه قريبى . . ابن خالتي .

— انه ليس ابن خالك ، وحتى لو كان ابن خالك ألا يحل لك ؟
— ولكننى فى عصمة رجل .

واحسن هوانا ، فما كان يثور هذه الثورة لو كان ما يزال شابا ولكنه شيخ ذابل جفت ينابيعه وهى ظمآنه . ان فيرنه تريد غضبه ضراما فقال فى انفعال :

— لن يعود بعرفة الى دارى بعد هذه السنة . . لن تطفأ قدمه بيضى . . هذا قرارى .

فقال فردوس وقد اتسعت عينها :

— اذا اصررت على ألا يعود فساذهب معه .

— ماذا تقولين ؟ تذهبين معه ؟ !

فقالت وهى تتظاهر بالانكسار :

— نعم ، ساذهب معه حتى يعرف أهلى اننى غلبت على امرى وان هذه مشيئتك .

وضايقتها فكرة بعد عرفة عنها فاجهشت بالبكاء . وقالت فى عبارات نختها العبرات :

— او كان قريبك ما فكرت فى طرده ، ولكنك تطرده لانه قريبى ، لانك تريد ان تذلى بين أهلى .

وصاحت وهى تبكى تدافع عن حياتها الجديدة التى تعلقت بها والتى يتهددها الدمار :

— لن أقبل هذا الذل أبدا . . لن أقبل هذا الذل أبدا .

يرأى الشيخ الدموع المنهرة على خديها فالجم لسانه وان

كانت انفعالاته الفائرة تمور فى اغواره ، وسار مطوقا نحو السرير
وصعد اليه واستلقى على ظهره وشرذ ببصره ينظر الى عروق
الخشيب فى سقف الغرفة . وصدره ينتفخ كالقربة ثم ينكمش كمثاقفة
انفجرت فجأة .

وانسلت فردوس الى السرير وهى تبكى ، ونامت وقد اعطت
ظهرها لزوجها اعلانا لخصامها وعدم رسلاتها عنه . واستمرت فى
نحيبها وهى تعتمد أن يكون مرتفعا ليصل الى سماع الزوج ويفعل
به أفاعيله .

وراحت خلجة رقيقة تنبض فى جوفه ، ثم تحركت مشاعره
الرواقص تتقدم فى حنان فى صدره لتطرد من أمامها احساسات
الأسى . . وصفت نفسه وانصمت بالركة ، وخطر له أن يمد يده
يمسح دموعها وأن يضمها الى صدره ولكنه راح يقاوم هذه المشاعر
حتى لا يبدو أمامها ضعيفا متهاككا .

رتمال فى رقاده ودنا قليلا منها وهم بأن يمرر يده على
شعرها فى حنان ، ولكنه كبج زمام رغبته . . وراح الوسن يداعب
عينيه ماطبق جفنيه واستسلم للكرى .

وكفكت فردوس دموعها واستشعرت رغبة جامحة تستبد
بها ، أنها تحن الى ذراعين قويتين تلتفان حولها وصدر حنون
يحتويها وأنفاس حارة تذيب المشاعر الثقلة المنبعثة فى اعماقها .

ونظرت من فوق كتفها الى الشيخ الراقد الى جوارها فالفته
يفط فى نومه ، فانسلت من جواره فى خفة ، وسارت على اطراف
اصابعها وهى مسحورة بالاحساسات الاناعمة التى تدغدغ حواسها
والقلق الشهى الذى يدمب فى روحها والوهم الكبير الذى كان
يقودها .

ودلفت الى غرفة عرفة وقلبها يدق دقا رقبا ، ودماؤها تتدفق حارة في عروقها ، وشبه غيبوبة تغمرها ، وأرتمت على الفتى لتذوب فيه وتطئن الى أنه معها لا يفرق بينها وبينه شيء .

ومر الزمن يطوى في جوفه أسرار البشر ، وتقلب الزوج في سريريه وأحس أنه ينقلب في حرية دون أن يرتطم جسمه بجسمها أو تحتك قدمه بساقها ، ومد يده يتحسس فلم يجد إلا فراغا ، ففتح عينيه مفزعا ودق قلبه في عنف وتدفقت انفعالاته في ثورة ، وأدار عينيه في المكان وهو زائغ البصر ، فلما لم يجدها انبهرت أنفاسه وغادر السرير وهو يكاد ينهار من الكمد .

وتقدم وقلق شديد يجتاحه وريبة قاتلة تزلزل كيانه ، وخوف من المجهول يستبد به ومشاعر ثقيلة تجثم على صدره ، وبلغ باب الغرفة فאלفها قادمة تصلح ثيابها ، منكوشة الشعر متوردة الخدين حافية القدمين ، فقال لها في صوت متهدج مضطرب :

... أين كنت ؟

فقال دون أن تضطرب :

... في دورة المياه .

والجم ولم يجد ما يقوله فذهب الى حيث وضعت القل ، ورفع قلة وجعل يتجرع الماء منها في صوت مسموع ، وأحس الماء البارد يجري في جوفه ولكن لم تطفىء النار المتدلعة في حناياه .

وعاد الى فراشه وهو يحاول أن يبدو هادئا ، ولكن الأفكار البشعة وجدت مرعى خصيبا في رأسه فراحات تتضخم وتضغط عليه فين أنينا مكتوما يدمى روحه ويزيد أساه .

ورادت أوهامه تؤكد له أنها كانت هناك في غرفة عرفة بين احضان الفتى ، فأحس كأن طعنة خنجر سدوت الى قلبه . . . والفتى

أنها في حلق مآلها مسيلة العينين مستسلمة للنوم الهادئ اللذيذ
منتظمة الأنفاس ، قربا ضيقه وثبتت أنظاره على عنقها الطويل
ونحرها العاري وراودته فكرة أن يقبض بيديه على عنقها وأن
يضغط عليه حتى يزهي روحها ، ولكنه راح يطرد الفكرة من رأسه
.. أنه يحبها .. يهواها .. يريد لها لنفسه خالصة .. أنه عرفة
الذي يدعى أن يبعد .. أن يزال من طريقه .. أن يختفى من
حياتها .

وطفق يفكر في عرفة وفيما يفعله به ليتخلص منه ، وثبتت في
رأسه أفكار كثيرة راح يقلبها ويقارن بينها ، وأخيرا ارتاح إلى
فكرة بعينها موطن العزم على انفاذها .

- ٨ -

التي عرفة ورقة الامتحان على الكرسي وخلق ثيابه وارتدى
جلبابه المخطط وارتدى في الفراش وأرخص لخياله العنان ، فلم يفكر
في الأيام الباقية على انتهاء امتحان آخر السنة ، ولا في رفاق
المدرسة ولكن شغلت رأسه دارهم المتواضعة في القرية ، وأمه
الجالسة في ركن من القاعة تعد الطعام وأخوته حولها يتصايحون ،
وأبوه وهم مقبل من عملة والشمس تلفظ آخر أنفاسها ، وصوت
مؤذن القرية يؤذن بالمغرب يدعو الناس إلى الصلاة والأوبة إلى
دورهم .

ونبتت في جوفه مشاعر رقيقة واستشعر حثينا إلى أهله ،
فخفق قلبه شوقا وانتابه ضغطة فغص وترقرقت الدموع في مآقيه

مراح يسمحها بظهور يده في راحة ، وقد استسلم للأفكار اللذيذة
النابضة في ذهنه .

وانغم بالمشوق وتحرك ليفعل شيئا يطمئن به مشاعره الهائجة
مغادر مرائنه وراح يصر حوائجه في « البتجة » التي جاء بها من
قرينته وهو مشبع بالغبطة ، يتمنى أن تطوى الأيام الباقية سريعا
ليعود الى حياة القرية التي يشتهيها .

ودلفت مردوس الى الغرفة ووقفت ترتبه مليا وهي تعجب ،
وراحت تتساءل في نفسها عما يدفعه الى تجهيز حوائجه وأماه
حتى ينتهى امتحانه ثلاثة أيام طويلة ! ان دقائق قليلة قليلة بوضع
كل ما يملك في الصرة .

وهمس في ذاتها هامس يسأل : ايسافر الى اهله عقب انتهاء
امتحانه مباشرة ؟ اتركها للظلم بعد أن وجدت عنده ما يروى
غلثها ؟ واذا اراد ان يسافر اتركه أم تغريه على البقاء ؟

ما الذي يغريه على العودة ؟ ألا يجد عندها ما لا يجده في
داره ؟ انه يتم بغرفة وحده ، ويأكل كل يوم طعاما ما كان يأكله
الا في الأعياد ، ويسعد بها ، ألا يكفيه كل هذا ليبقى ؟ !

واحسست ضيقا .. فطنت من حركاته انه يتعجل الزمن
ليتركها ، آه لو ذهب لصارت حياتها فراغا . انها لا تطيق أن تتصور
انه سيركها . ليتها تجد عذرا تنتحله ليعود معه الى القرية ،
أو ليت سويلم يقضبه منها ويأمرها أن تذهب الى اهله لتتطلق معه
سميدة لا تفارقه حتى تنقضى اجازته !

ان هذا الفتى مالا حياتها .. اذاتها ما لم تنقه طوال سنين
زواجها .. خفق له قلبها خفقات شهية .. شغفت به حبا . أكانت
تصدق انها ستقيم يوما بصبي لما يتجاوز الخامسة عشرة !

وتقدمت منه وقالت وهي تبسّم :
— من يراك وأنت تصر ثيابك بحسب أنك مسافر الساعة ؟
وسرعان ما غاضت ابنتاهما ، كان رنين صوتها في جوفها
مقبضاً مثالت في صوت فيه أسى :
— لماذا هذه العجلة ؟

فقال عرفة وقد شرد ببصره بعيداً :
— أحس شوقاً عظيماً إلى أمي وأبي وأخوتي بل إلى جدران
دارنا ، أتمنى أن أغمض عيني فأجد نفسي بينهم .
فرنت إليه بعيون مفتوحة ، وتحركت عقارب غيرتها ولم
تستطع أن تكبت مشاعرهما فقالت في عتاب :
— وأنا ؟

فنظر عرفة إليها نظرة بلهاء ، لم يفهم ماذا تريد فقال في
حيرة :
— ماذا ؟

فقالت في صوت متهدج :
— هل ستذكرني ؟ هل ستشتاق إلي ؟
فقال دون أن يضطرب أو تطرف عيانه :
— طبعاً .

وكان كاذباً في قوله فلم تخطر له على بال لما فكر في عودته
إلى أهله ، ولم يستشعر حسرة لأنه سيخلف وراءه شيئاً يحبه .
إنها دخلت حياته كما دخلت الفتيات اللاتي عرفهن قبلها ، لقد كان
لها سحر أول عهده بها ولكنها لم تترك في قلبه أثراً ، ثم تزد في
نظرة عن فتاة لعب معها لعبته المفضلة ثم عاد كل منهما إلى بيته .
أحس نحوها مرة احتقاراً وفكر في أن يفر منها ، ولكن حتى

ذلك الاحساس تبخر وصارت بالنسبة اليه شيئا يقضى معه لحظات متعبة بالمتعة الجسدية ثم يمر كل ما أحسه مرور الانفاس التي دخلت رئتيه وخرجت منها دون أن يذكر من ذلك شيئا .

ورن صوته في أذني فردوس زاخرا بالرياء ، لم يكن له تهديدات اضطراب المحبين ، ولم يكن له ذلك الطعم اللذيذ الذي كانت تذوقه لما كان يهمس لها بالفاظ تافهة أول عهدا به . واستشعرت ضيقا وامتلات رغبة في أن تنزع منه اعترافا بحبه فقالت له :

— اتحبني ؟

وارهفت حواسها ، كانت تتمنى أن يقول لها انه يعبدها وانه لا يستطيع أن يعيش بدونها ، ولكنه قال في بساطة :

— طبعاً .

وثارت مشاعرها وسرت في بدتها رعدة ، وانسدلت على عينيها غمامة فلم تعد ترى شيئاً وغمت عليها احساساتها ، وأرادت أن تقضى على ذلك القلق الذي تفجر في أعماقها فندفعت اليه وضبت به الى صدرها وراحت تقبله في نهم وانفعال ، وسرعان ما استجاب لندائها .

وعادت الى غرفتها هادئة وتمددت في فراشها وقد أسبلت عينيها في استسلام وبدأ الوسن يداعب جفنيها ، وإذا بسؤال راح يتدسس الى رأسها « هل الاستجابة دليل الحب ؟ » وسفل تفكيرها بالسؤال والاجابة عنه ، وراحت توهم نفسها أن استجابته لها دليل على حبه ، ولكن وساوس الشك كانت تبطل الأوهام .

وبانت تترجح بين أفكارها حائرة ، لم تكن واثقة الا من شيء واحد هو أنها تحبه وأنها تتمنى أن تقضى ما بقي من عمرها معه .

آه لو كان أكبر من سنه وقادرا على أن ينفق عليها وأشار لها بأصبعه أن تتبعه ، لفرت معه دون تردد أو تفكير في مغبة ما تفعل .

وجاء الليل وأغلق باب الغرفة عليها وعلى زوجها ، فراحت تنسج بة وتداعبه وتضع قبلاتها حيثما تقع ، فأوجس سويلم خيفة وأخذ يتأهب لسماع رغبة جديدة من رغباتها .

ولفت ذراعها حول رقبتة وأسندت رأسها على كتفه فراح شعرها يداعب خده الخشن الخائر ، وقالت في صوت منكسر مشحون بالرقّة والرجاء :

— سويلم ، اشتقت الى أهلى أريد أن أزورهم .

فقال سويلم في نبرات هادئة :

— هل لك أهل غيرى بعد أن ماتت أمك ومات أبوك ؟ ألم تقولى

لى أنك أمى وأنتى أمك وأبوك ؟ ؟

فقالته وهى تزدداد التصاقا به :

— أنتى الخير والبركة ، ولكننى احن الى زيارة قبر أبى وأمى .

ورؤية خالتي وأبناء خالتي .

— وهل زارك أحد منهم ؟

فقالته في صوت حالم :

— ألح يبعثوا الى " حرفة " .

وأحس كأن خفجرا صوب الى قلعة ، وإذا بخاطر يزحف الى رأسه يهمس بأنها لا تبغى زيارة قبر أمها وأبيها ولكنها لا تطيق غراق الفتى .. تريد أن تكون معه ، فاهتز كيانه وانقبض صدره وثارت مشامره وهم بأن يصيح فيها ، ولكن ضنط احساساته الشديد حس صوتته وكاد يكتم أنفاسه .

وكانت فردوس تهيم في أمانيها فلم تحس أنفعال الرجل المنصق
بها ، وقالت وهي شاردة ببصرها وذهنها معا :

— مستأنف مع عرفة وسانتظر حتى تأتي لتأخذني ، ما أجمل
هذا ! سيعيد أيام سعادتي .. سأحس تلك الاحساسات الغامضة
اللذيذة التي كنت أحسها في الأيام الحلوة التي سبقت زفافنا .
وانفجر رجل غضب الزوج فقال وهو يبعدا عنه بكتفه :
— لن يكون هذا أبدا .

والفاتت من حلمها فنظرت إليه بعينين مفتوحتين وقالت :
— لماذا ؟

فقال والغيرة تنهش مؤاده :

— قلت لك أنني لا أريد عرفة في بيتي ، ولا أحب أن تكوني في
مكان يكون فيه عرفة .
— لماذا ؟

فقال في أفيظ :

— لأنني أكرهه .. أبقته .. أبغضه .. لا أحبه .

وضاقت الدنيا في عينيها ، وتحركت مشاعر كثيرة متباينة في
أغوارها فانتجرت قائلة :
— لماذا ؟

راحس كأن سوطا هوى على وجهه ، فقال وصدره يعلو
ويقتضض :
— لأنه .. لأنه ..

ولم يستطع أن ينطق الكلمة التي ملأت رأسه وغمة ومزقت
كيانه ، شهب واقفا وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو يرتجف
يحس كأنه سينفجر ويتطاير أشلاء ، ووجدت فردوس الفرصة

مواتية لاثارتة وارغامه على اهانتها لتجد في ذلك تكتة لفضيها
وعودتها الى أهلها ، فقاتلت وهي تقف في طريقه متحدية :

— لانه ماذا ؟ قل .

فقال وهو يزيحها بيده من طريقه :

— كفى .. اسكتي .

فقاتلت في عناد :

— لن اسكت قبل ان اعرف ماذا يدور في رأسك .. قل لانه

ماذا ؟

فقال في ضيق :

— اوه .. والله ان لم تسكتي لاذهبين اليه الآن واكتم انفاسه .

وكان يذرع الغرفة في طريقه الى الباب ، فأسرعت فردوس
دون تفكير الى الباب تسده بجسمها وقد عازمت على أن تقاوم
زوجها اذا ما فكر في مغادرة الغرفة ، ولكنه ظل غاديا راثحا وهو
يقول في حنق وهو يصرف أنيابه :

— «ماقتله .. سأقتله يوما .

وجعلت فردوس ترصد حركاته دون أن تنبس بكلمة وقد
أوجست منه خيفة .

كان الوقت ضحى والشفقة هادئة لا يسمع فيها الا وسوسة
اساور وارقطام نحاس بنحاس بين لحظة وأخرى وخرير ماء ،
فقد ذهب سويلم الى دكانه ، وانطلق عرفة الى تأدية امتحانه ،
ودخلت فردوسى تغتسل . .

كانت فردوسى تستحم عقب ان نهى من نومها وقبل ان تعد طعام
الافطار لزوجها ، ولكنها قرأت فى عيني زوجها ريبة ووخزها مرأت
بكلمات مغلفة بدعابة نطقت بالشك الذى يساوره ، فصارت تنتظر
حتى يخرج وتولى وجهها شطر الحمام .

وانقضت فترة صمت طويلة ، كان الكوز فى يد فردوس ولكنها
لم تمده اتملاء من العطست الموضوع تحت صنوبر الماء فقد شربت
ببصرها تفكر ، لم يبق الا يومان على سفر عرفة تعود بعدها الى
حياة الحرمان والجفاف ، ولن تعرف الحمام الا يوم الجمعة لتزيل
عرق الأسبوع وتبدل ثيابها التى اتسخت .

وطافت بها سحابة من الأسى ، وربت سحب الحزن وتراكت
لما تذكرت انها لن تستطيع ان تذهب الى عرفة فى قريتهم اذا هزها
الشوق اليه ، فقد كانت ثورة زوجها عارمة لما طلبت منه ان تزور
اهلها . انه يشك فى العلاقة التى بينها وبين عرفة ، وانه ليهم بأن
يلقى الاتهام فى وجهها ولكن كبريائه تاجم لسانه .

قال لها مرارا امة لا يطيق مراقبتها ، وباطالما عبر لها عن حبه .

انه صادق في مشاعره ولكن رقة الكلام ما كانت بقادرة على
اخماد انفس الشول الذي غداه عرفة بشبابه لمزاده ضراوة
ووحشية .

وتدسست الى رأسها فكرة : اخلت الدنيا من الرجال ولم يعد
فيها الا عرفة ؟ انا اذا سافر عرفة فما أكثر الرجال الذين يتمنون ان
يتالوا ما ناله عرفة ، ولم تفزعها الفكرة ولم تحاول وادها وان
احسبت عدم راحة ، كانت في أعماقها تفضل ان تدوم علاقتها بالفتى
وأن تقتصر عليها .

وفكرت في سويلم واذا بالعجب يملؤها ، لماذا يغار كل هذه
الفيرة لجرد شكه بأن هناك شيئا بينها وبين عرفة ؟ انه لم ير شيئا
أنكره ولكنه أحس احساسا غامضا مذه ، ولكن لماذا يتمذب ؟ ان
عرفة لم يسلبه شيئا ولكفه استعمل ذلك الشيء الذي لم يعد هو
بقادر على استعماله . وقبل أن تستريح الى الفكرة وخزها واخز
من نفسها راح يسألها اكافيت تحسن ما يحسن زوجها لو كانت اكبر
منه سنا وهام زوجها على وجهه يلتقط لذاته ؟ واستشعرت شيئا لما
صاح فيها صائح انها ما كانت لتغفر لزوجها ما يفعله وان كانت
هي غير تادرة على تلبية رغباته .. انها طبيعة البشر .

ومدت يدها بالكوز في مصبغة تملؤه وصوت يهوى في أعماقها :
« هذا ظلم .. هذا ظلم .. ما كنت لأختار هذا الطريق لو كان
لزوجي شئبا .. ظلم .. ظلم » . « ماذا يفعل سويلم لو رآني بين
أحضان رجل فقير ؟ .. يقتلني ويقتله .. سويلم يقتل ؟ ولماذا
لا يقتل ؟ لقد قال لي : والله أن لم تستكفي لاثمين الية الآن واكنم
انفاسه .. انه لو خائني زوجي مع امرأة لقتلته وقتلتها . استحق
القتل ؟ . انما استحق القتل ؟ ! هذا ظلم .. ظلم » .

ونهضت ترتدى ثيابها وهى تعجب من نفسها وتتساءل عما جعل رأسها يجيش بكل هذه الأفكار وما كانت تفكر فى شيء من ذلك ، وما كانت لتندم على ما تفعل ، وما كانت لحاسب نفسها ، أهيجت أمكارها اشباح الوحدة التى تترقبها بعد ذهاب عرفة ؟ انها لا تدري . كل ما تدريه انها ضائعة تالقة حائرة مضطربة .

واحصت رغبة فى البكاء وانبثقت دمعتان فى عينيها ، ولكن لماذا تبكى ؟ ! انها تستشعر رهبة .. رهبة من شيء غامض . انها خائفة وما كانت تعرف الخوف من قبل ، انها لتنساب من جوار زوجها فى هدأة الليل لتذهب الى عرفة دون ان تختلج فيها خلجة رهبة ، فما بالها تضطرب الساعة وليس هناك ما تهابه ؟ !

وجففت رأسها بالمنشفة ، وكورت شعرها ثم لفت المنشفة حول رأسها فبدت كالعمامة التى تلف على شاهد الضريح ، وفتحت باب الحمام وقبل ان تجتازه سمعت طرقا على الباب فصاحت :
— حاضر .

وذهبت الى الباب وفتحته غالت أم نعيم تنظر اليها طويلا وتلتع عبثا المضععتان ببريق خبيث ، وتفرج شفتاهما عن ميم ليس فيه الا ناب واحد طويل ، ثم تقول :
— نعميا .. صباحية مباركة .

وغالت فردوس وهى تفسح لها طريقا :

— أنعم الله عليك .. تفضلى ..

وتقدمت أم نعيم فى خطوات بطيئة .. كانت ترتدى جلبابا اسود فضفاضا وعلى رأسها طرحة سوداء حمار لونها زيتونيا . وظهرت سحوالها من تحت المنديل الذى تعصب به شعرها بيضاء ناصعة . انها فى السبعين من عمرها ومع ذلك لا تقر فى بيتها ،

تنقل من بيت الى بيت حاملة الاسرار التي تبعثرها هنا وهناك .
لذتها الوحيدة ان تسمع وأن تنقل ما تسمع وأن تزيد على ما تنقله
ما شاء لها خيالها ، وما كانت تلتفت الا للفخائيل والمصائب
والمعائب .

وتلفتت وقالت في حسد :

— رينا يمتعك بشبابك .

وانفجرت شفتاها عن قباها الطويل وقالت :

— والله قلبي يحبك لانك يتيمة مثلي وبنت حلال ، روحى الله
يسترك دنيا وآخره يا فردوس يا بنت زكية .

ووصلنا الى غرفة عرفة ودلفنا اليها ، وجلست أم نعيم على
الأرض ومالت فردوس عليها تحاول رفعها وهي تقسم قائلة :

— والله قومى واجلسى على الكنبه .

— وحياة النبی اللى زرته أنا مرتاحة .

— اترفعى يا شيخه .

— مرتاحة والنبي ، روحى الله يريحك ويسترك دنيا وآخره .

وجلست فردوس أمام مرآة الكسول ورفعت المنشفة عن
رأسها وأخذت تسرح شعرها الأسود الطويل ، وأم نعيم ترمقها في
حسرة تحاول أن تفريها بنظراتها ، وقالت :

— ايه . . ذهبت أيامنا . كانت أياما جميلة ولو أنها كانت
قصيرة . كان المرحوم لا يترك شعري يجف أبدا ، ما أن أخرج من
الحمام حتى يعيدنى إليه مرة ثانية ، كنت أحب أن أصلى ولكن ما
كان يترك لى وقتا للصلاة .

وضحكت فردوس ضحكتها المشغمة الزاخرة بالقداء وقالت

— أما كان له عمل غيرك ؟

فقالت أم نعم وهي تطلوح ذراعها :
— كانت دكانة تحت البيت ، وكان كالمكوك مساعدا هابطا ..
لم يكن آدميا .. كان وحشا .

وصمت أم نعيم قليلا ثم قالت :
— الله يرحمه ويجعل أراضيه الجنة .
فقالت فردوس وهي تضحك :
— اطمئني انه من اهل الجنة .
فقالت أم نعيم وهي ترمقها في استخفاف :
— وما ادراك ؟

— لا ، مات شهيدا .
فقالت أم نعيم في ضيق :
— مات وتركني صغيرة .
— ولماذا لم تتزوجي بعده ؟
— قلت أعيش للولدين ولا أقهرهما ، حرمت نفسي وربيتهما
ولما كبرا تزوجا وتركاني وحدي ، آه لو كنت أعرف ما أهدرت
شبابي .

فقالت لها فردوس وهي ترمقها في المراقبة :
— أأدمنة على ما فعلت ؟

فقالت ، أم نعيم في حسرة وإن تظاهرت بالمزاح :
— لو كان في رأسي عقل ما قبلت أن أعيش بلا رجل حتى تجف
عروقي .. روى الله يمدلك في عمر العم سويلم ويروي لك
عروقك .

ومالت فردوس برأسها وضحكت ، وراحت أم نعيم تتجول
في الغرفة بعينيها فرأت جلابيب عرمة معلقة ، فالتصت عيناها
بهريق خست وقالت :

— أما زال العم سويلم عرقا ؟
عقالت فردوس وهى تنهض :
— انه عرق ولكنه ليس وحشا كزوجك .
وعادت أم نعيم تنظر الى جلباب عرفة وقالت :
— نعمة .. احمدي الله عليها ، ما جئت لزيارتك الا ووجدتك
خارجة من الحمام .

وصفت قليلا تغالب الكلمات التى تقرأ على لسانها ، ولم
تستطع ان تكبحها ولكنها غيرت اتجاهها قالت :
— وكيف حال عرفة ؟

ونظرت فردوس اليها تتفحصها فى ريبة فآلفتها مطرقة ، انها
تعرفها داهية تريد ان تجر ها الى ما تبغى لتدور بقصتها مع عرفة
على بيوت الجيران ، فراجت تتحدث فى روية وتزن الكلمات قبل ان
تنفوه بها قالت :

— بخير . وسيسافر بعد غد ليعود الى اهله .
— ولماذا هذه العجلة ؟
— وما الذى يبقيه بعد انتهاء الامتحان ؟ !
وأسبلت أم نعيم عينيها .. كانت هذه عادتها كلما وخزت
وخزة كأنها كانت تخشى ان تكشف عيناها سريرتها ، وقالت :
— يسامد العم سويلم فى الجكان .

وهبت بأن تقول غ انه لا يزال صغيرا ، ولكنها احسبت ان
العجوز ستسخر من قولها ، وانها قد تنفذ من ذلك الى السؤال
عن سنه والى الحديث عن قدرته على انجاب الأولاد ، فوجدت
ان الصمت اسلم فلم تنيس بكلمة وتحركت تنشر المنشقة .
وضايق أم نعيم ذلك الصمت وعاظها تهرب فردوس من

الخوض في هذا الحديث ، وراة أن تعرج على حديث آخر فيه
تميز قد يعود بها الى الحديث من عرفة ، فقالت :

— نعم سويلم رجل طيب وابن حلال ولكنى في حيرة من
أمره هذه الأيام .

ولزمت الصمت لتثير في فردوس رغبة كشف سر الزوج .
وسرها انها نجحت في خطتها لما رأت فردوس تقبل عليها وتقول
لها في اهتمام :

— وماذا أنكرت من أمره ؟

فقالت أم نعيم في صوت فيه رنة أسي متكلفة :

— سنيره مع سرحان .

— سرحان من ؟

فقالت أم نعيم وقد أسبلت عينيها :

— الا تعرفين سرحان ؟ انه يعيش على قتل الناس .

— يعيش على قتل الناس ؟

— نعم . من له غريم يؤجره لقتل غريمه .

— ومتى يقابلة سويلم ؟

— ان سرحان كالخنفاش لا يغادر بيته الا بعد أن تغيب

الشمس .

— وأين يسكن ؟

— في البيت المتهم المجاور للفرن .

— أى فرن ؟

— الفرن الواقع خلف دكان النعم سويلم .

وهمت بأن تسألها عن العلاقة بين زوجها وسرحان ، ولكنها
حزمت كرسى . قال لها سويلم انه سيقتل عرفة يوما وها قد جاء

اليوم ، اير مجرماً ليقتله .. ولكن لماذا لا يقتلها هي ؟ ! انه اعجز
من أن يفعل ذلك .. انه يحبها .. يهواها .. يريد لها خالصة له .

وتفتحت نفس أم نعيم ، سرها أنها غرست في نفس فردوس
القلق ، وزاد في سرورها تلك الأفكار التي راحت تتجمع في رأسها
حول فردوس وسويلم وعرفة ، ستجد قصة مثيرة تدور بها على
بيوت الجيران ، وضاعف من غبطتها أن القصة تروى فضيحة
جنسية وهي تشتهي كل حديث يقودها إلى الجنس حتى تغرق
فيه .

وانطلقت أم نعيم تتحدث وفردوس لا تفقه من حديثها شيئاً ،
كانت مشغولة بالتفكير فيما تفعله لتتخذ عرفة .

— ١٠ —

فاخر قلق فردوس بعد أن تبينت من أن حياة عرفة في خطر ،
لقد دفعت الغيرة الشيخ إلى أن يكثرى رجلاً ليتخلص منه ، وراحت
الأفكار تتزاحم في رأسها .. كانت تقلب الرأي فيما تفعله لتتخذ
الفتى فقد عزمت على ألا تقف مكتوفة اليدين .

دار بخلدائها أن تجابه سويلم بأوهامها ، تقول له انه اجر
سرحان لبغتيال عرفة فلا يسعه الا أن بنهار أمام المفاجأة . سينكر
ما ذبر ويتخلص من التهمة ويعمل على تجميل مؤامراته بعد انكشاف
أمره . ولكن ماذا يكون الموقف لو أخذته العزة وثار وحطمها فيما
يحطم ! ماذا لو التقى في وجهها اتهاماته وطلقها وراح يوسع
الأرض إذاعة بما بينها وبين الفتى ؟ لا . ان محاولة الوقوف

فى وجه سويلم الحاقق الاثر المظمون لىست بالراى . ولكن
ما الراى ؟ اترك الفتى يقتل ؟

وارتجفت وثار دماؤها حارة فى عروقها وزاد خفقان قلبها ،
وراح يهمس فى نفسها هامس يقول : أهون على ان افصح من ان
يقتل عرفة . ليت الناس كلهم يعرفون ما بينى وبينه ويترك
لى ! .

وراحت تذرع الغرفة وهى مطرقة ، وتدسست الى راسها فكرة
الذهاب الى سرحان فى وكره وتهدهد بانها على علم بما هو مقبل
عليه ، وان حبل المشنقة ينتظره لو اصيب الفتى بمكروه ، ترى
ايرسخ مجرم لهذا التهديد ؟ وماذا تفعل لو سخر منها وقال لها
انها لا تستطيع ان تثشى به لأن معنى ذلك وقوفها امام المحكمة
واعلان فضيحتها على الملأ . ستقول له انها لن تثشى الفضيحة
بعد قتل عرفة ، فلن يكون لها شئ بعده .. واذا لم يخضع
لتهديدهما وقتله فماذا تفعل ؟ اثشى به ؟ وما الذى ستجنيه بعد
قتل عرفة ! .

— « لا ، لن يقتل عرفة ، لن اتركه للموت ابدا ، سالتمس
من سويلم ان يتركه لشبابه ، واقسم له اننى لن احاول ان اعيدده
الى البيت او اذهب الى قريتنا ، اقبل سويلم هذا ؟ ، لن يقبله . انه
يشك الآن وحسب ، وانه ليقدم على القتل لمجرد الشك .. وان
توصل الى سيؤكد اوهامه .. الويل لى ماذا افعل ! » .

وراحت تقطع الغرفة جيئة وذهابا وفى وجهها حيرة وفى
راسها انكار كثيرة وفى قلبها قلق وخوف ، وبدا اليأس يتسرب
الى فكياتها فاستقر رايها على ان تذهب الى سرحان فى وكره
وليكن ما يكون .

وارتدت قوبا اسود غضاضا واسدلت على وجهها ثيابا

أسود ، وانطلقت مأخوذة تحس كأنها تعيش في غيبوبة ، وأولا ضربات قلبها الشديدة لحسبت أنها في حلم من الأحلام .

وانسابت في الطريق وقد وسعت من خطوها ، فالمشاعر المتفجرة في صدرها تدفعها دفعا غرا سيرها ، واللهفة على مقابلة سرحان ومجاوبة المجهول الذي يترقبها ووضع حد للخوف الذي يفتابها قريبا على التقدم في حماسة ، وان تلقى بنفسها في المعركة .

كانت غاية إيمانها أن تخرج منتصرة ، أن تنقذ غرفة دون أن تضطر إلى إعلان فضيحتها على الملأ ، أنها تعيش الساعة لهذه الأمنية فإذا أخفقت في ثنى سرحان عن عزه فليس أمامها إلا أن تذهب مع غرفة ، مضحية ببيتها وسعته ، مشاركة أياه في الخطر الذي ينتظره ، لن تتركه أبدا يلقى الموت وحده .

ووصلت إلى القرن فتمهلت وراحت تظف زائغة البصر ، وثبتت حينها على البيت المتهدم بجوار القرن فكاد قلبها يتخلع من بين ضلوعها وتسمرت في مكانها برهة ، وطافت بها رغبة في أن تولى الأدبار ولكنها وأدت ضعفها وتقدمت من صبي صغير وقالت له وهي تشير إلى البيت المتهدم :

— أهذا بيت سرحان ؟

فقال الصبي وهو يتفرس فيها في دهش :

— نعم .

— واين يسكن ؟

— في أول غرفة على اليمين .

— أهو موجود الآن ؟

— نعم .

— وحده .

— اظن ذلك .

ولمت اطراف شجاعتها ومشت صوب البيت المهدم والصبي يرمقها في استغراب ، وهبطت في درجتين وسارت في دهليزه رطب مظلم انبعثت منه روائح روث البهائم ، وبلغت اول غرفة على اليمين فوقفت قليلا حتى تعتاد عينها على الظلام وحتى تلتقط انفاسها .

وطرقت باب العرفة في اضطراب ، ومرت لحظات كلها قلق ، واخيرا فتح الباب ، واذا برجل طويل عريض الكتفين عارى الصدر غزير الشارب يملأ فراغ الباب ويتطلع اليها في استغراب ، فسررت في بذنها رعدة ، ولكن سرعان ما قبضت على مشاعرها بيد من حديد .

وظل سرحان ينظر اليها مليا يحاول ان يخترق ببصره ذلك النقاب المنسدل على وجهها ، ثم قال وهو يفسح لها طريقا :
— تفضلى .

وتقدمت خائفة القلب ، ودارت بعينها في المكان فلم تجد الا غرائسا تقرا كوم على الارض ومتعدين من مقاعد المشاهي الخشبية الطويلة العالية ، وفباله علقت في مسمار دق في الحائط .

واغلق الرجل الباب وتقدم وهو يمسح شفقيه بأصبعه كأنها بمسح لعبا سال ، وأشار الى المقعد الخشبي السليم وقال :
— تفضلى .

وبقيت واقفة منتصبه وقالت :

— أنت سرحان ؟

فقال في زهو :

— نعم في خدمتك .

فقالت في انفعال :
 — جئت أحذرك من تنفيذ ما اتفق عليه معك سويلم .
 فقال لها في انكار :
 — من أنت ؟
 — هذ لا يهمك .
 — وما الذى أدراك بما بينى وبين سويلم ؟
 فقالت وقد اتسعت عيناها وراح صدرها يعلو ويخفئ :
 — ار أصيب الفتى بمكروه نستقل .
 نضحك في استخفاف وقال :
 — لم يخلق بعد الذى يقتلنى .
 وأمسكت خصلة من شعرها وقالت :
 — أقسم بهذا أنك ستقتل اذا قتل عرفة .
 فقال في انفعال :
 — من ذا الذى يقتلنى . . أنت ؟ ا عشت حتى رأيت امرأة
 تتوعدنى !
 وأحسست أنها بدأت تملك ناصية المعركة فقالت في ثقة :
 — اذا كان سويلم قد دفعك الى هذا بماله فأنا أستطيع ان
 أغرى رجالا على قتلك بنفسى ، ما أكثر الذين يتطوعون لقتلك لقاء
 ليلة معى ! .
 وصمت كأنها القم حجرا ، وراح ذهنه يعمل في سرعة ،
 فأحس طلائع هزيمته ، ورأى أن يستغل الظرف ليطلب اندحاره
 نصرا فدنا منها وقال وهو يبتسم في حبث :
 — أنا على استعداد ان أقبض الثمن الآن وان أنقض اتفاقى
 مع سويلم .

ومد يده ليجذبها اليه ويضعها الى صدره . ولكنها دفعته في
قوة فقال في حلق :
— أترغضين ؟
— نعم .

— لماذا ؟ ما دمت على استعداد لدفع الثمن ، فما الفرق بين
أن تدفعيه لى أو تدفعيه لغيرى .
— لأننى لا أثق بك .
— أقسم لك أننى سأنفذ اتفاقنا .

وعاد اليها مرة اخرى ليضمها اليه فدفعته في شدة وهي
يقول :
— حذار إن تدنو منه .

فقال في غضب :
— أذن سيقتل . ولن احرم رجلا من ان يقضى ليلة معك .
فقالت وهي تتجه الى الباب وتفتحه :
— لن تقدر . . لن تستطيع .
وخرجت وهي تعجب من نفسها .

— ١١ —

استيقظ عرفة في البكرة وارتدى ثيابه وجعل يغدو ويروح
في القرنة يتمجل الزمن ، ويرنو الى حقيقتة الصغراء والصرة
الموضوعة على الكنسول فيمتلىء نشوة ، فلن ينقضى اليوم حتى
يكون بين أمه وأبيه وأخوته .
وجلس على حافة فراشه وشرذ ذهنه ، فرأى نفسه بعين

خيساله يقدم لأمه قطعة القماش السوداء التي اشتراها لها
فيفيض وجهها بشرا ، ويمطى الاخوته الذين التفوا حوله اللعب
الريقية البسيطة المتواضعة التي خططت بالأحمر والأبيض فيتعالى
صياحهم فرحا ، ويهدى لأبيه سبحة سوداء فيدهو له بالهداية .
وسرت الحماسة في صدره فنهض وعاد يفرع الغرفة جيئة
وذهابا .

وجاءت فردوس تدعوه لتناول الطعام فالفته قد ارتدى ثيابه
وتأهب للأسفر فانتفضت ، ساءها لهفتة على الذهاب ، انه
لا يريدتها . . لا يحس بها . . يتعجل اللحظات لينطلق ، انه
سينساها . . لن يذكرها بينما هو في خيالها لا يريم . وقالت
في مودة :

— لماذا هذه العجلة ؟ الساعة الآن المتابعة ولن يتحرك
القطار قبل العاشرة .

— أحس شوقا طافيا الى أهلي ؟ ليقنى اذهب الآن .
واستولت عليه فكرة الخروج فاتجه الى حقيبتها يحملها ،
فقالته له :

— ماذا تفعل ؟
— أتى ذاهب الى المحطة .
— لا زال أمامك ثلاث ساعات ، أنتف ثلاث ساعات تنتظر
القطار ؟ ؟

فقال وهو يبتسم :
— لن أضجر أو أتملّل ، ساكون راضيا ما دامت رحلتى قد
بدأت .

فقالته وهي تملأ عينيها منه :
— نعال أنظر ثم افعل ما تريد .
وسار غرفة الى حيث وضعت الطبلية ؟ وسارت فردوس

خلقه وهى منقبضة يملأ جوفها قلق وخوف وحزن وانكسار .
ووقعت عينا عرفة على سويلم الجالس الى الطبلية فحياه
وجلس ، وجلست فردوس وهى مشغولة بالانكار التى اخذت
تندفق الى راسها والمشاعر التى راحت تزحف من هنا وهناك
ويضيق بها صخرها .

فكرت فى ذهاب عرفة الآن فحبذته ، فذلك يضيق على سرحان
فرصته ، اذا كان ما زال مصرا على ان يصرخ الفتى . انه
سيتربص له قبل موعد القطار بقليل ، فاذا ما انطلق الساعة
فسيغفلت من قبضته ، وقررت ان تغرى عرفة بالذهاب فقالت
لزوجها :

— عرفة يريد ان يذهب الآن .

فقال سويلم دون ان يرفع راسه :

— لا ، قلت لعلوية ان يجهز « الكرتة » ليوصله الى المحطة .
فقال عرفة :

— بتشكر يا عمى ، ولكننى افضل الذهاب الآن على تدمى

فقال سويلم وهو يجاهد ان يبدو هادئا :

— الحذر شديد اليوم .

فقالت فردوس وهى تنظر فى قلق :

— ما زلنا اول النهار .

فقال سويلم وهوى يده الى الطعام :

— لا احب ان يصتاب بضربة شمس فى اليوم الذى سيعود فيه

الى اهله .

وهمس فى نفس فردوس هامش يقول : ولكنك تحب ان

يصاب بطلق ناوى والا يعود الى اهله .

وساد الصمت وشغل كل منهم بأفكاره من كل ما حوله :

كانت فردوس تفكر فيما تفعله لو عاد عليوة وقال ان عرفة قد

قتل . انتهم زوجها بقتله ؟ وماذا ستجنى من هذا الاتهام لا ستخسر
عرفة والزواج معا ، وإذا انفلتت فمها ولزمت الصمت فكيف تعيش
مع رجل تعرف انه قاتل ، ومقاتل من ؟ عرفة .

ووسوس في جوفها صوت يقول : وهو . . كيف تعيش معي
في بيت واحد وقد لوثت شرفه ؟

وهب صوت آخر يصيح فيها : لا ، انه يشك وحسب ، انه
ليس على يقين ، فلو انه رأى شيئا لما بقى معي لحظة ، أما انا
فاننى واثقة من انه هو المحرض على قتل الفتى .

وخطرت لها فكرة ان تنهض وترتدى ثيابها وتنطلق مع الفتى
الى المحطة تحميه ، ولكنها فطنت الى ان سويلم لن يوافق على
ذهابها ، سيسفه رغبتها ويرفضها رفضا . وظلت غريسة
للأفكار المتباينة الزاحفة الى رأسها دون انقطاع .

وشرد سويلم بخياله وتمنى لو ان عرفة سافر ليلا ، اذن لكان
قتله أيسر ، ولكنه اخذ يطمئن نفسه ان سرحان لا يابة بليل
أو نهار ، انه مكر يقتل في الظهيرة ويروغ كالثعلب .

واختلس نظرة الى الفتى الذي حكم عليه بالاعدام ، ماذا
بغضبه يتحرك ودماءه تثور ومقته يسرى في عروقه كالصديد ،
وتعمقت روح الشيخ فلم تنبت فيها خردلة من شفقة .

وظل عرفة مهتال الأساير . . انه يرى أمه وهي تضمه الى
صدرها الحنون ، وأباه يربت على ظهره ، وأخوته يلتفون حوله
يصفون اليه وهو يسرد عليهم حياة البندر . ويرى الطرق الضيقة
الحبيبة الى نفسه ، والحقل والساقية ورفقاء صباه وحمرة الشفق
ساعة الغروب .

كانت نفسه مسرحا لحنين رقرق ظاهر ، وحنان ملائكي

لا يدنس رقبته جامحة ولا لهفة على نقاة من فتيات القرية اللاتي كن يشاركنه لعبته المفضلة ، فقد كان غارقا في الجسد يهفو الى غذاء روحى بعد ان نضبت ذخيرته من احساسيس الحب العفيف .

وانتهوا من افكارهم وعاد غرفة الى غرفته يظفر الى حقيقته وصرة الثياب في شغف ، تراوده فكرة ان يحملها وينطلق ، ولكنه كان يعنصم بالصبر حتى لا بغضب الشيخ في آخر يوم له في بيته .

وراح الوقت يمر ونيدا ونيدا ، وكل من غرفة والشيخ وفردوس يتعجل مسروره ليقضى على التوتر الذى يعيش فيه ، وانخيرا ارتفع رنين جرس « الكرتة » فتفتحت نفس غرفة فرحا ، وانقبض صدر الشيخ ، وانطلق غواد فردوس هلعا وكاد يفلت منها زمام امرها وتند منها صرخة .

واسرعت فردوس الى غرفة الفتى تودعه وقلبها يرغرف بين ضلوعها كجناح حمامة ، وقابلته وهو مقبل وقد حمل حقيقته وصرفته فاستشعرت رغبة مستبدة تغريها بضمه وتقيله ، ولكنها قاومت تلك الرغبة وقالت في صوت متهدج تخنقه العبرات .

— مع السلامة .

واقسحت له الطريق ووقفت ترتو اليه من خلال دموعها التي انبثقت ملاءماتها ، ولم تعد ترى شيئا فمسحت عبراتها بظهر يدها ، ورأته وهو يتجه الى باب الثغفة فأسرعت اليه وهمست :

— الا تودع العم سويلم ؟

ووضع الحقيبة على الأرض وانطلق الى غرفة الشيخ ، وقال وهو يهد له يده مصافحا :

— عن افذك يا عمى ، القاك على خير .

وصالح الشيخ الفتى فى فتور وهم بأن يقول له : « مع السلامة » ، ولكن حرارة مثقه صهرت الكلمات فتبخرت على شفثيه ، ولم يظن عرفة الى وداع الشيخ الفاتر ولم يابه به ، وعاد مسرعا ليحمل حقييته .

ومر بفردوس وهو يكاد لا يحس بها ، وحمل حقييته وسار واذا بفردوس تسرع وتفتح له الباب ، وما أن يخرج منه حتى تتبعه وتجذب الباب خلفها وتخف اليه وتقبله قبلة خاطفة وتقول : — مع السلامة .

وطفق عرفة يهبط فى السلم خفيفا يحس احساس السجين الذى يغادر سجنه لأول مرة ، ووقفت فردوس عند رأس السلم تنظر اليه وفى قلبها لوعة وفى نفسها حسرة وفى عينيها دموع ، ولم تستطع ان تكبح جماح عواطفها فراحت تنسج بصوت مسموع .

ووضع عرفة حقيته وصرفته فى « الكرثة » وقفز الى جوار عليوة خفيفا ، وملا رئتيه بالهواء ثم زمره فى راحة وقال ليظمن نفسه .

— الى المحطة .

وانسابت « الكرثة » غيوب المجهول .

وعادت فردوس الى حيث كان سويلم ، كان القلق باديا عليها تطرق ثم ترفع رأسها وتتلفت وتأخذ فى التملل ، ولا تلبث ان تنهض وتغدو وتروح فى الحجرة دون أن تفعل شيئا ، ثم تعود لتجلس وتطرق وتتلفت ، ولولا انشغال الشيخ بالامكار الطاغية التى يتدسس الى رأسه والمشاغل القاسية المزمجرة فى ذاته لظن الى اضطرابها .

ولم تعلق المكث فى الغرفة فقامت وانطلقت الى غرفة لها

شباك عنى الطريق وراحت تنظر من خلاله شاردة ، وقد نبتت
فى رأسها هواجس كثيرة . راحت تتساءل عما تفعله اذا عاد عليوة
وصاح ان عرفة قد قتل . اتجرى فى الشارع محلولة الشعر تصيح
كالمجنونة ؟ اترتدى مليه ثياب الحداد ؟ اتقول لزوجها انها تعلم
انه هو المحرض على قتله ؟ انتقم لعرفة وتقتل سويلم ؟ اتنفذ
وعيدها لسرحان ؟ لقد افسحت بخصلة من شعرها ان سرحان اذا
أصيب الفتى بمكروه ، فإين ذلك الرجل الذى يقدم على قتل سرحان
لقاء ليلة معها ؟ ! .

وأحسست ان سرحان سيسخر من تهديدها فتقاصرت نفسها
وأحسست رهبة تكاد تكتم أنفاسها ، ولكن أيقدم سرحان على القتل
بعد أن يتقن أنفى أعرف نواياه ؟ الا يخشى أن يدفعنى اليأس الى
البوح بكل شئ ؟ آه لو ركب سرحان رأسه وركبت رأسى ! .

وأحسست حركة خلفها فالتفتت فراءت سويلم قد أقبل شاردا
وذهب انى الشباك والى نظرة فاحصة على الطريق ، فقد جاء
يتنسم الاخبار مثلها ، وكلاهما كانت آماله معلقة بعودة عليوة وان
تباينت الآمال كل التباين وتنافرت الرغبات .

وساد بينهما صمت قاتل ، حتى كان كل منهما يخشى أن يسمع
الآخر دقات قلبه وصوت أنفاسه ويقرأ ما فى نفسه من مشاعر
وأفكار ، وراح الزمن يسير سير السلحفاة فيزيد من الآلام الجاثمة
على صغريهما ، ويوسع فى هوة الهلع التى حفرت فى أعماقهما .
وارتفع رفين جرس « الكارثة » فذهبت نفسيهما شعاعا
واتسعت ميونهما رعبا واشبهت أنفاسهما ، وأحس كل منهما أنه
يكاد أن يثهار .

ووصلت الكارثة الى البيت ، ولم سويلم أطراف تسجاعة واطل

من الشباك وهو يحمل نفسه على ذراعيه حملا ، وقال فى صوت
اجش مضطرب :

— هية يا عليوه ؟

ورفع عليوة رأسه وصاح فى صوت هادى :

— وصلته بالسلامة ! .

وتبخرت مخاوف فردوس وزحف الاطمئنان فى جوفها ، ثم
راحت فرحة تعربد فى اعماقها ، ولم تقو على كبت مشاعرها فذهبت
الى زوجها قضمه وتقبله .

وابعدا سويلم عنه فى عنف ، ووقفت فردوس ترقبه وعلى
شفتيها بسمة واسساريرها منبسطة ، فقد سرها نجاة عسرمة
وانتصارها على سرحان . وتدفقت الدماء حارة فى عروق الزوج
وعصفت به ثورته ، فاذا به يمد يده الى كرسي قريب ويرفعه ثم
يهوى به على رأس فردوس ، وترنحت فردوس وسقطت على
الأرض ، والكرسي يرتفع فى الهواء ليهوى عليها . واستمر سويلم
بضرب ويضرب حتى صارت الشاجرة جثة هامدة ، وهو
يمسح فى ضربها دون أن يحس مما يفعل شيئا .

واجبة الخيال

عزيزى خيرى :

هذه الرسالة ليست بنت اليوم .. راودتنى منذ ذلك اليوم .
كنت ادخل غرفتى واغلق على بابى واتهيا للكتابة ، ولكنى كنت
كلما جلست الى القرطاس لابتك لوايح نفسى احسست خجلي
يقوم حائلا بينى وبين تسطير ما احس ، فما كان لفتاة ان تبعث
الى شامب لا يعرف عنها شيئا — وان كانت تعرف عنه كل شيء —
برسالة نشكو له فيها ما تقاسى من وجد ..

ظل ذلك الججل يقهرنى حتى ليلتى هذه ، فقد دخلت الى
غراشى بعد ان اطمأنتت الى عودتك من مقهاك ، وحاولت النوم
ولكنى ارتنت ولم تغمض لى عين ، وتقايت فى غراشى كأنها انتقلب
على جمر ، فقد تأمر على خيالى فأحضر صورتك امام عيني فى
شكول تخرج النار فى الفؤاد ، فطفت احساسات الحب غملا
صدرى حتى كادت تكتم انفاسى ، فلم اجد لها منفسا الا ان اقوم
فى هجة الليل لاسكب شواظ القلب على رسالة ابعث بها
اليك ، نعل نارى تبرد وقبلى الذى اضناتى يهدا والخيال الشارد
المسارح بجناحيه ، فيدثر نفسى القلقة الخائرة هدوء وان كان
هدوءا الى حين ..

رايتك يا حبيبى اول مرة بعد ظهر يوم لن انساه .. كنت
ذاهبة الى طبيب الأسنان وكنت عائدًا من عملك ، فما وقعت عيناى
عليك حتى تملكى احساس غريب ، شعرت بروحى تهفو اليك ،
وانطلقت فى طريقى وما ابعدت خطوات حتى تلفت خلفى برغى
لأمتع العين برؤيتك ..

وانتهت زيارتى للطبيب وعدت الى البيت ، فجلست فى الشرفة
أستروح نسيم الأصيل ، ومجأة شعرت كأن جناح حمامة يخفق فى
جوفى .. كان قلبى يضطرب . رأتك عيناى وأنت مقبل من دارك
منطلق الى الميدان ، فقفز قلبى فى سرور الولهان ..

تبعتك بعينى مضطربة النفس ، حتى اذا اختفيت عن ناظرى
ظل قلبى يتبعك ، وانتضى النهار وأقبل المساء وأنا أفكر فيك . وجاء
أوان مغادرتى الشرفة وتحركت لادخل الى غرفتى ، ولكن لم
يطاوعنى قلبى ، لم يشأ أن يخادر الشرفة قبل أن يطمئن الى
أوبتك .. مرت من الليل ساعات وأنا جالسة أرصد الطريق ، فاذا
لمحت شبحا قادمًا حسيت أنك فتسرى فى بدنى رهبة لذيدة ، وطال
مكثى وما تسرب الملل الى فقد كنت مفعمة بالنشوة ، لأنى أرقب
عودة رجل خفق له القلب ..

علمنى حبك يا حبيبى أن الظلام مرقع خصب للخيال ، وراحت
الأوهام تنمو فى فكرى وتزدهر فى نفسى ، ففتنتنى روحى ويرضى
مؤادى . ومجأة اشتد وجيب قلبى .. رأتك فى حلقة الليل قبل أن
تبرزك عيناى ، وبقيت أتبعك بنظرى حتى اختفيت ثانية فى الظلام ،
فغادرت الشرفة وأنا أحس خفة وانسراحا .

صارت الشرفة مأوى ، فى الصباح أهرع إليها لاستجلاء

طلعتك ، وفي الظهر انتظر عودتك ، وعند الاصيل ارتب خروجك
الى مقهاك ، اما الليل فكان مسرح الاحلام ..

فكرت مرة في ان اتبعك لعلني استطيع ان انتظر نظرك اليّ ،
فارتديت ثيابي قبل موعد خروجك عند الاصيل ، ووقفت في شرفتي
قلقة تتجاذبني خواطر متضاربة تترجح بين الاقدام والاحجام ،
ولحكت قادمًا فاندحر ترددي ، ووجدت نفسي اهرول وانطلق كأنما
كنت واقعة تحت تأثير منوم مغناطيسي ، وهبطت الدرج قسرا
ووصلت الى الطريق وقلبي في حيرته واضطرابه ، واحسست رهبة
تسري في من قمة رأسي الى اطراف اصابع قدمي .. مشيت في
بدني رعدة وتدفق الدم حارا الى وجهي ، وتلفت سعيون زائغة
فالفيتك تسير امامي ، فافذت سيري حتى اذا اقتربت منك ضيقت
من خطوي كأن قوة خفية أرغمتني ، وتبعك على البعد كأنها كنت
منجذبة اليك ، حتى اذا لحكت تدخل مقهاك وقتت اديم اليك النظر
وانا سعيدة ، ثم عدت راضية من حيث جئت .

وفي يوم تقابلنا وجها لوجه ، ولا اكذبك القول فاقول انما
مجرد مصادفة ، فما احب وانا اعترف لك بحبي ان اكذب عليك ،
كانت هذه المقابلة ثمرة تدبير فكرت غبة ليالي وأياما ، يا طالما
قابلتك في الحياة وهممت ان ابتسم لك كما فعلت في الخيال ،
حتى جمذا وجهي وعز على الابتسام ، فكرت في ان ادعوك .. ان
أهتف باسمك ، ومتحت في واطبقت ولم يتبعك منه صوت ،
تحطمت الالفاظ على شفتي فعدت الى البيت حائرة على نفسي ،
وثار قلبي على " فآخذ يخرني وخرًا ما اقساه " ..

ومرت على " ليلة ليلاء .. ليلة لن انسها ما بقيت ، جلست

فى الشرفة أرتقب مودتك وكان الظلام يرخى ستوره السود والسكون
يسيطر على المكان ، فراح خيالى يرتفع حرا طليقا ينعم بأعذب
الرؤى والطف التخيلات ، ومر الوقت ووامى ميعاد أوبتك فأرهفت
منى الحواس ، وجعلت أفرس أشباح الفادين الأطمئن الى
مودتك ، وانقضت ساعة ثم ساعة ولم تقع عليك عيناي ، فتحرك
قلقى وثارت نفسى واستولى علىّ ضيق ، وزاد فى كرى أن
هجس فى صدري هاجس جرح روحى راح يوسوس لى أنك تنعم
اللحظة بحببة الفؤاد اذ كنت أنتظرك وقد اندلع فى جوفى نار .

تحركت عقارب غيرتى وراحت تأسعنى لسما ، وأحسست
جمرة تار فى خلقي وعبرات تخنقنى وحنقا يلفنى ، وتمنيت بكل
جوارحى أن تعود لأجو من ذلك العذاب . ولكن الوقت راح يمر
ولم تلمحك عيناي ، فخطر لى أن أنسل فى هدوء الليل الى مقهاك
انقب منك حتى أستريح من حواسى التى تأمرت علىّ ، ولكنى جئنت
عن تنفيذ ذلك الخاطر الذى طفق يلح علىّ يؤازره القلب الوالـ
الحيوان ..

وبرد الجو وصفرت الرياح ، فمشيت فى جسدى قشعريرة لم
التفت إليها .. كنت شاردة فى تيه الخيال غارقة فى بحور
الأفكار ، وأشرف الليل على الانقضاء وأنا فى مكانى ، وأخيرا
انسللت من الشرفة محطمة النفس مهبضة الجناح .

واشرقت الشمس وتسلفت الى غرفتى ، وما إن فتحت عيني
ورأيت الضياء حتى شعرت بخوف يسرى فى صدري خشيت أن
يكون مسعاد خروجك الى عملك قد انقضى وكتب علىّ الا تكتحل
عيناي ذلك اليوم برؤيتك . هممت بالتهوض لأغادر فراشى وانطلق
الى الشرفة ، ولكنى شعرت بثقل فى جسمى عاقنى عن التهوض .

فحسست جبهتي بيدي غالفيتها تكاد تنصهر .. لقد سقطت فريسة
للحمى وما طننت الى هذه الحقيقة حتى ارتجفت ، لم ارتجف لمرضى
بل خشية أن أهذى باسمك فيتبدى مكنون نفسي ، وينفضح سر قلبي
الذي انتبنت عليه ضلوعي وطويت عليه صدري ..

ولازمت الفراش وراحت الدقائق واللحظات تمر ونيذيرة بيضة ،
وعادني طيفك في ساعات صحوى فأنمش روحى وأرضى غواذى ..
وفي يوم من أيام مرضى لججت في التفكير فيك ، وأخذت أناجيك
حتى غلبى النوم فرحت في سبات ، وفيما أنا غارقة في نومي رأيت
كأنما أنا وأنت في حديقة رائعة تفتحت أزهارها وغنت أطيافها ،
نخطر خلفهما على زرع أخضر بهيج ، وقد انسدل شعري على كتفي
فأخذ التسم يداعبه ، وأنت ترنو الىّ في عطف ..

ولمنا نهرا فهرولنا اليه مسرورين حتى إذا بلغناه الفيحاء من
لجين ، ووجدنا زورقا رائعا زين بالزمرد والياقوت انتثر فيه الورد
والياسمين ، فركبنا فيه وأخذنا نجذب في البحر العجيب ، وقد
سرى صوت سماوي أخاذ يغنى بأعذب الألحان لعبث بقلبيننا ، فملأنا
نشوة ولماضت سعادتنا فالتصق رأسنا ..

والتنت الىّ وفي عينيك حب ، ولففت ذراعيك حولي وضممتني
اليك ، ولم أستطع أن أحتمل السعادة التي كنت فيها فاستيقظت
خائفة القلب مرهقة الاحساس ، وما إن هدأت مشاعري حتى أخذت
أفكر في حلمي اللطيف ، منشرحة الصدر راضية النفس قسيرة
العين ..

وكأنما كان ذلك الحلم الحبيب التسم الشافي لمرضى ، فما
أشرقت شمس النهار حتى أبليت مما كنت أناسي ولكني لم أبرأ من
حبي ، فما ملكت قواي حتى هرعت الى الشربة خائفة الغواد أرقبك
في الغدو والأصال ، وطلعت حبي وفاض فلم يعد يسعني جوفى ولم

يعد يقتنع بسسبحات الخيال ، وطمع في أن يفهم الحبيب
بالاحساسات الغوارة ..

اننى اكتب اليك وليس لى على نفسى سلطان ، قهرنى حبي
وتمود على قلبى واستبد بى وارهننى حتى ارغمنى على أن اكتب
اليك ، فنزلت على حكمه مقهورة وإن كان فى ذلك طعنة لكبريائى
فجلاء ..

القلم يرتجف بين اصابعى ، وقلبى يطفو ويفوص ويملى على
كلمات ، والعرق البارد ينبثق من جبينى . ليتنى استطيع أن اعصى
ما يأمريه قلبى ولكن هيهات ، فما هى ذى يدى تسطر ما يمليه
الغؤاد .

سأنتظرك عند محطة الترام فى الميدان فى الساعة الخامسة
من مساء يوم الخميس ، ولن اذكر لك عنوانى حتى لا تعتذر اذا كنت
لا تستطيع أن توافينى فى ذلك الميعاد ، فانى أريد أن احيا الأيام
وأنا سنعيدة بداعبنى أمل لقياك ، والى ذلك اليوم المرتقب أتمنى
لك ولنفسى أسعد الأحلام ..

((فتحية))

وطوى خبرى الرسالة وهو نشوان يحس خدرا لذيذا ، فما
دار بخذه أن هناك من تحبه هذا الحب العارم الجبار . كانت
حياته محزنة قبل أن تصل اليه هذه الرسالة الحارة فما كان ممن
يتقيئون ظلال وأحبه الخيال . كان يضرب فى منحراء الحياة محدودا
الآمال ولكن ما ان قرأ هذه الرسالة حتى شرقة بصره وفتحت فى
رأسه ابواب التصورات .

راح يفكر فى فتحية ومن تكون وما شكلها ، وتفتق ذهنه فراح
يجلب له ممثلات السينما الحسنان ، فيستعير لفتحية من هذه
قوامها .. ومن تلك نضارتها .. ومن ناللة عينيها النجلاوين ..

ومن رابعة صدرها الفاتن الرائع ، واسترسل في تخيلاته حتى
تجسست فتحية في ذهنه نموذجاً للحسن والجمال ..

وخرج الى الطريق وسار يتلفت يمينا ويسارا ، وفوق وتحت ،
ويتفرس في الشرعات .. فلمح أكثر من فتاة جذابة تصلح ان تكون
صاحبة الرسالة النابضة بالحب والحياة ، فطفق يوزع ابتساماته
هنا وهناك لعل ابتسامة منها تكون من نصيب فتحية فتتزل السكينة
بالقلب اليلهان ..

وخطر له ان يحيى من في الشرعات الممتدة على جانبي الطريق
بكلتا يديه كما يفعل الزعماء والأبطال ، فابتسم لذلك الخاطر
الساخر الذي اقتحم عليه خياله في هذه اللحظة الحاسمة من
لحظات حياته ، لحظة التفتيح من الجميلة التي تحت له قلبها
قبل ان يطرقه ، ووهبت له السعادة وأحب ..

انطلق وهو يحس كأنها بعث خلقاً جديداً .. انه محبوب وما
أسعد ان يكون المرء محبوباً ، وتدفتت في عروقه دماء حارة ما أحس
حرارتها قبل يومه ، وسرى في صدره أمل حلو انعشه وأحيا نفسه
من الموات ..

ولمح في شرفة من الشرعات فتاة جذابة ممشوقة القد دقيقة
الخصر ، تهدل شعرها الكستنائي المتماوج فأخفى في دلال جزءا من
وجهها الحلو الناصع البياض فزادها حسنا ، وبدت نراعاها
البضتان كأنها خرطتا من الشمع ، فضيق قلبه لجمالها الأسر الذي
يلسب بالقلوب ويعيث بالرجال ..

وقف يرنو اليها مذهولا ، وبقي مدة ثم انقبه الى نفسه وراح
يتلفت حوله ، فرأى رجلا مستقفا أبيض الشعر ضئيل الجسم
محدودب الظهر جذب حسنها عتيقه ، فراح يتفرس في جمالها
ويتلفت نحوها كلما خطا في الطريق خطوات ، فابتسم خيري

مزهوا ، فجمال من احبته سبى الرجب الفاتى وجعله يتلفت وغر
عينيه ارجباب ، ككتاب فوار الحماس ..

وشرق وجهه بابتسامة عذبة ومرر يده على شعره تحية ،
فخيل اليه انها ابتسمت له ومدت يدها تصلح شعرها المتهدل .
فانشرح صدره وصدق ما حزره قلبه ، انها هى بعينها فتحية ..
فتحية التى بعثت اليه برسالتها الحارة ترد على تحيته بتحية
مثلها .

وسار فى طريقه وهو نشوان . سره انه اهتدى الى فتحية
ووجدتها نابضة بالحياة كرسالتها ، ووسع فى خطاه فمقد دب فيه
نشاط غريب ، وما ان بلغ الميدان حتى احس رغبة فى ان يعود
ويتطلع الى فتحية ، فدار على عقبه وقفل عائدا من حيث جاء ،
فلما لاح له الشرفة ظلمت عيناه متعلقتين بها وانداح فى صدره
خدر لذيد ..

ودنا من الشرفة فخفف من خطوه ورفع راسه وراح ينقل فيها
عينيه ، وقد تحرك فى جوفه اضطراب شهي ، كانت شفتاها
ممثلتتين مغريتين ووجنتاها فى لون الورد وعينهاها آسرتين
ساحرتين ، فانبعث من عينيه بريق اخاذ ، وسار الهوينى وهو
يتلفت حتى اختفت الشرفة عنه ..

وعاد الى داره فاسترخى فى مقعد وثير ، واخرج الرسالة
ونشرها وراح يعيد تلاوتها فغمزته نشوة اعظم من النشوة التى
غمزته اول مرة ، انه يرى الآن بعين خياله فتحية بشعرها الكستنائى
المتنوج ، ووجهها الحلو الصبيح ، توجه اليه خطابها فتنتشله
من دنياه المحدودة لترفعه الى عوالم رحيبة من السعادة والهناء ..
وضع الرسالة على ركبتيه واطلق لخياله العنان ، فرأى نفسه
وغتحية فى تلك الحديقة البديعة التى راتها فى مقامها وهما يهرولان
الى النهر الرقراق ، ثم يتجهان الى الزورق الرائع ويركبان فيه

وينطلقان ليسبحا في عالم السعادة ، وقد أسند رأسه إلى رأسها .
واستمرسل في تخيلاته فألقى نفسه يصبها إلى صدره في وته
ويطوها بقبلائه الحارة ، فأحس وهو في مقعده بنشوة عارمة ..
وتبدل خيري .. دب فيه نشاط بعد خمول واستيقظت حواسه
بعد سبات ، وسبح خياله مهام في سماوات التصورات بعد أن كان
مشدودا إلى الأرض ، وصار يعنى بهندامه يقف أمام المرأة
سويغات ، وما كان يرتدى جاكنته إلا وهو هابط في الدرج لا يلوى
على شيء .

وراح يحيا على الأمل يعد الدقائق والمسامات ، يرصد يوم
الخميس في قلق ورجاء . وما أنبلج صبح ذلك اليوم الموعود حتى
فتح صوان ملبسه ، وأخذ يتفرس في حله يقلب هذه ويفحص عن
تلك ، حتى اطمأن إلى حلة رمادية جذابة متناولها ، ونادى الخادم
الصغيرة ، أمرها أن تذهب بها إلى التواء .

واتجه إلى حيث يضع أحذيته وانتقى منها حذاء وضعه في
عناية بالقرب من المشجب ، ثم ارتدى ملبسه وخرج إلى الطريق
وسار نشيطا ، حتى إذا بلغ الشرفة لم يجد بها أحدا ، فانتقبض
وتريث قليلا لعلها تقبل فيبتسم لها ، مؤكدا أنه سبنتظرها في الموعد
المضروب .. ولكن مرت لحظات دون أن تغد إلى شرفتها فاطلق
وهو يحس ضيقا ، لكن سرعان ما انقشع ضيقه فقد خطر له أنها
تأهب لالتاء الذي يهنو إليه قلبها ..

ويذهب إلى عمله وهو جذلان ، راح يداهب زملاءه طلق الوجه
ولم يستطيع أن يطوى صدره على سره ، فأخذ يقص عليهم قصة
الفتاة اللقاة التي أحبته وبعثت إليه تلمس منه أن يوافيها اليوم
لثقله لبيب الغرام ، وأرضى ذلك الحديث قروره فجعل يحدثهم
عما سيفعله بعد اللقاء .

وانقضى ميعاد العجل في الديوان فأسرع بالعودة وهو فرحان ،
وما بلغ أول الطريق الذي يقطن فيه حتى سرى في جوفه قلق لذيذ ،
ومد بصره الى شرفتها فلبحها فرفص قلبه سرورا ، واخذ السكير
حتى اذا أصبح تحت شرفتها رفع رأسه وانتر ثغره من ابتسامة .
فخيل اليه انها تبادلته الابتسام ، فصار الى بيته وهو هيمان ..
وجلس الى طعامه ، وما ان لؤرد لقيمات حتى عانت نفسه
الطعام . كان شارد اللب مشغولا بما يجري في رأسه من رؤى
وتخيلات ، فنهض وغادر السفرة ، وذهب الى مقعد طويل تهدد
فيه وأرخص لخياله العنان ..

راح يفكر فيما سيفعله عند اللقاء ، فرأى ان يذهب الى مصر
الجديدة ، ثم يستقل سيارة الى كازينو موفترو الضارب في
صحراء الماظة لينعما بالهدوء وهواء تلك المنطقة الجاف . واستراح
الى تلك الفكرة ولكن سرعان ما تفزت الى رأسه فكرة أخرى ..
انها رأت في منامها أنهما يذرعان حديقة بديعة ثم اتطلعا الى زورق
راح يتهادى بهما في نهر صاف رقراق ، فلماذا لا يحقق لها في
الحقيقة ما رآته في المنام ؟

واطمأن الى ذلك الخاطر الجديد ، فقرر رايه على ان يذهب الى
قصر النيل بجوسنان خلال حدائق الجزيرة كهراشتين طليقتين ، ثم
يركبان زورقا من الزاوريق المنتشرة هناك ، يخطر بهما في النيل
عند الأسيل ، فيمتعان الطرف بمشاهدة الغروب الفاتن الذي يملأ
النفوس بالجلال ..

واخذ الوقت يمر وهو غارق في بحور النشوة المستمدة من
الخيال ، ودقت ساعة الحائط الرابعة فأحس ونبتها في نفسه ..
ارتفعت دقات قلبه وأرهفت مشاعره وزحفت الى صدره رهبة

وقام يتأهب للانطلاق للقاء ، فذهب الى المرأة وقرب وجهه وراح يتفوس في صقالها ، فألقى شعرة نابذة في خده فجذبها باللقاط ، ثم أخذ يرجل شعره اللامع ، وأرندى قميصا أبيض ههنا ، وتناول رباط عنق جذابا وراح يحقده في حرص ، ومد يده الى المقدمة بتحسسها في رفق ليزيل ثنية خفيفة في طرفها ..

وتناول حلته الرمادية في حرص بالغ ، ثم ارتداها ، وأخذ يصلح من هندامه ويمد يده الى المنديل المنديل المنديل من جيبه يرفعه قليلا ثم يخفضه قليلا ، ثم يعود ليرفعه .. حتى اذا استراح الى وضعه تشتر خطوة وجعل ينحس عن صورته في المرأة .

وأخذت اللحظات تمر في بطل ، فطفق يفرغ الغرفة مناعدا هابطا وقد سيطر عليه اضطراب مشوب بلذة ونشوة ، وخطر له أن يقرأ رسالتها فمد يده وأخرجها ، وراح يقرأها خافق القلب مرهف الحواس ..

ونظر الى الساعة فالفأها الرابعة والثلاث ، فتململ في ضيق ، واتجه الى الشرفة ووقف يستنشق الهواء ، ولكنه لم يطق أن يبقى فيها طويلا فدخل يقطع الحجرات جيئة وذهابا في حسيرة واضطراب ، واستقر رأيه أخيرا على مغادرة الدار فراح يهبط في الدرج متمهلا حتى يحافظ على رونق حلته .

وسار يتهادى ، حتى اذا بلغ شرفتها زاد وجيب فؤاده ، ورفع عينيه فلم يجد لها فسرت الطائفة في صدره ، انها الآن أمام المرأة تتأهب للقاء . آه لو تدرى لأسرعت بالهبوط لينعما بأسعد "لأوقات ! وبلغ الميدان فوقف عند محطة الترام يمد بصره الى الطريق الذي ستقبل منه فتحية بقاتها المشوقة ، ووجهها الحلو الصبيح الذي تزينه عينان صافيتان رائعتان ، وغم في لون العقيق يغري باللثم والعناق ..

ونظر في ساعته فارتفع نبضه وزاد خفقان قلبه وسرى الدم
حارا في عروقه ، ان هي الا عشر دقائق ثم تقبل متحيرة بذاتها
للطيفة . يا طالما حادتها في الخيال ارق حديث ، وان هي الا
لحظات حتى يناجيه في الواقع الملموس الذي يفوق سحره سحر
الخيال أعذب مفاجاة ، وراح يغدو ويروح على الطوار ، وعيناه
ترقبان مقفد الطريق الذي يستقبل منه الفتنة والافراء ..

ووقعت عيناه وهو يتلفت على فتاة مقبلة نحوه . انها تجسم
له وان ابتسامتها تتسع وتتسع ، فمرمها في دهش مما كان يحسب
ان تبلغ الجراة بفتاة ان تغازل شابا مثل هذه المفاصلة المفضوحة ،
ودنت منه وهمست :

— لقاء سعيد يا خيرى بك ..

ومدت يدها تصافحه ، فاحس رأسه يدور وقلبه يفوص في
قدميه وضيقا ينتشر في صدره . انها فتاة سمراء مغلفة الشجر
واسنة الفم جاحظة العينين ، انفها اقرب الاقوف الزوج ، وقد
انتشرت في وجهها بقع سوداء زادت في دماقتها .

وهمس في صوت مفزوع :

— متحيرة هاتم ؟ !

فانقرج فيها الواسع عن أسفائها الصغراء ، فوقف مذهولا
لا يدري ما يفعل بعد ان انجلت لعينيه الحقيقة البشعة ، ثارت
احساساته وامتزجت حتى كاد يتعطل تفكيره . واقبل الترام
مصعدت متحيرة بسرعة وصعد خلفها دون ان يدري .

واخبرا اماق من المفاجاة البغيضة والترام يجد في سيره ،
وقفزت في رأسه فكرة ففهم مسرعا وقفز من الترام ، وراح يعدو
برهة وهو من الخوف يتلفت !

تصدير البشر والفنون والآداب

لابد لكل مشروع من رأس مال عمنل ، فاذا زاد رأس المال على حاجات المشروع العملية كان الجزء الفائض ماطلا وأصبح عبئا على المشروع كله . ولتصريب مثل هذا الوضع يحول رأس المال العاطل الى مشروع آخر فى حاجة الى أموال ليصل الى كفايته التصوى .

واققتصاديات الأمم لا تختلف فى كثير ولا قليل عن المشروعات التجارية فلابد لكل أمة من رأس مال بشرى ، يفكر ويخطط وينفذ ، فاذا زاد رأس المال البشرى فى أمة من الأمم على حاجاتها الفعلية كان فائض رأس المال البشرى عاطلا ، وأصبح عبئا على الأمة كلها ، وإعلاج مثل هذه الحالة يصدر فائض البشر الى أمم تشكو نقصا فى الأيدى العاملة .

ولا يقصد بتصدير البشر الهجرة النهائية الى دولة أجنبية بل يقصد به فتح أبواب العمل فى مجالات خارجية للفائض البشرى فى دولة من الدول .

والإنسان رأس مال تتغير قيمته بتغير ثقافته وخبرته ، ومقدار حاجة المجتمع الذى يعيش فيه الى جهوده . وتلجا بعض الدول التى يزيد فيها رأس المال البشرى على حاجتها الى تصديره لتجنى فوائد ما يبيده رأس المال البشرى من فائض جهده الى بلاده .

وتستفيد دول كثيرة من تصدير فائض ابنائها ، بل قد يكون عائد رأس المال البشري المصدر عصب اقتصاد تلك الدول ، غاليونان ولبنان وسوريا وإيطاليا تصدر البشر الى البلاد التي تعاني نقصا في الأيدي العاملة وتجنس في ذلك فائدتين ، عائد الجهود البشرية المصدرة ، وتوفيرا في مآكل أولئك الذين راحوا يعملون في الخارج ومشربهم وملبسهم ومسكنهم وخدماتهم الصحية والاجتماعية .

ولو فرضنا ان دولة ما نجحت في ان تصدر ألف خبير ، واستطاع كل منهم ان يعيده الى بلده مائة جنيه كل شهر ، فمعنى هذا ان حميلة هؤلاء الخبراء من العملات الأجنبية في السنة $1000 \times 100 \times 12 = 1,200,000$ جنيه ، فإذا فرضنا ان عائد أي مشروع اقتصادي $\frac{1}{6}$ فعائد هؤلاء الخبراء يساوي عائد مشروعات اقتصادية قيمتها ٢٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠ من الجنيهات .

ان إيطاليا وحدها تصدر الى ألمانيا الغربية مليون عامل . وتصدر اليها يوغسلافيا نصف مليون . وما أكثر البلاد التي تحتاج الى خبراء وصناع وعمال في العالم ، أفريقيا وألمانيا الغربية وأمريكا الجنوبية وبعض البلاد العربية في آسيا وأفريقيا تشكو نقص الأيدي العاملة بها ، مما حدا ليبيا الى عقد اتفاقيات مع تشاد والمغرب والسودان لتوريد خبراء وعمال زراعيين ، بينما تشكو مصر من تضخم الطاقات البشرية المعطلة .

لأننا نقاسي من تضخم رأس المال البشري وزيادته زيادة هائلة على حاجة البلاد الفعلية ولمكانياتها . ولو أننا قد نجحنا حتى الآن في إيجاد عمل للقادرين على العمل الا ان ذلك كان في بعض الأحيان على حساب الكفاية الاقتصادية للمشروعات مما أدى الى

خلق بطالة مقنعة ؛ وهذا النجاح لا يمكن أن يستمر طويلا
سنضطر الى أن نكف بشدوهين أمام السيل الجارف من ابنائنا
المنطلعين الى العمل .

لقد ناقشت مشكلة زيادة السكان عندنا فنادى الاقتصاديون
والمصلحون الاجتماعيون بضرورة تنظيم النسل . واني أرى أن
هذه الدعوة لا تحل مشكلة قد وقعت فعلا . بل تحاول أن تجد حلا
للمشكلة في المستقبل وأن تحد من خطورتها . اننا نقاسي الآن فعلا
من الاتجار السكاني ، وليس لهذه المشكلة من حل الا أن تتفجر
الارض بآبار الزيت أو نجد سوقا خارجية لفائض رأس مائنا
البشري أو أن يمن الله علينا بالحسنين مما .

ان البطالة السافرة والبطالة المقنعة وازدحام الوحدات
الاقتصادية والفنية واجهزة الدولة بافراد لا يستغلون كل طاقاتهم
في العمل رأس مال معطل ، بل رأس مال يستهلك أكثر مما يفتح
ما يسود على اقتصادنا القومي بالضرر ويجعل أمر التخطيط
المسلم مستحيلا ؛ لذلك آن لنا أن نفرط في تصدير فائض رأس
المال البشري ، لنحقق التوازن بين الانتاج والاستهلاك ولنحنى
نوائد ما يعيده رأس المال البشري المعطل عندنا من فائض جهده
في الخارج .

وعلى مصر واجبات يحتمها عليها تاريخها الطويل ، فهي
أقدم بلاد العالم معرفة بالزراعة واقامة الخزانات والسدود فواجبها
حيال أفريقية أن تنهض بمعبد زراعة القارة التي عاشت حتى
العصر الحديث على الفطرة وأن تمدها بالمهندسين الزراعيين
ومهندسي الري والعمال الزراعيين والسيطريين والأطباء ونحوهم .

في السودان ، وفي الصومال ، وفي الحبشة ، ملايين
الأيدي الصالحة للزراعة والتي تحتاج الى الأيدي العاملة بينها

عندنا طاقات زراعية معطلة ، فلو أمكن تصدير تلك الطاقات الى البلاد التي في شدة الحاجة اليها ، لحققنا الرخاء لتلك البلاد وجئنا فوائد رؤوس أموالنا البشرية المستثمرة واسترحنا من طاقات مستهلكة .



سافرنا في بعثة اقتصادية في عام ١٩٦١ الى الصومال وقد تم الاتفاق بينا وبين الحكومة الصومالية على ان نقيم هناك مجزرا وان ننشئ صناعة السكر وعلى ان نستصلح الاراضي ونزرعها . وفي الصومال اكثر من عشرين مليونا من الافنة البكر الصالحة للزراعة و... كانها لا يزيدون على مليون ونصف مليون نسمة ، ولقد اشفقنا على انفسنا من خوض غمار هذه المغامرة وان ابدت المانيا الغربية فيما بعد استعدادها ان تقيم المجرر وان تتقاضى ثمنه من اعماء الحيوانات لصناعة السجق الذي تشتريه ألمانيا ومن حوافر الذبائح ..

ولقد قامت روسيا بانشاء مجزر هناك ، وتقوم الآن الصين الشعبية باستصلاح الاراضي وزراعتها آليا . واعتقد ان هذا لن يثبط همنا بل على العكس سيدفعنا الى اقتحام هذا الميدان الجديد خاصة وان الظروف جميعها في مصلحتنا ، فالعلاقات الاقتصادية بين الصومال ومصر كانت قائمة منذ اقدم العصور ، منذ عهد حتشبسوت . ولغتنا ولغة الصومال واحدة وديننا ودينها واحد مما ييسر الزواج بيننا وبينهم والاندماج فيهم .



ان افريقيا والدول النامية في آسيا في حاجة الى ايد خبيرة لزراعة المساحات الشاسعة التي لم تزرع بعد ونحن والله الحمد من

أول الدول التي عرفت الزراعة في العالم ، فواجبنا أن ننهض بهذه المسئولية وأن هذه الدول في حاجة إلى أطباء ومهندسين ومحاسبين وزراعيين وفنيين وفي رأيي أن الجامعة الأزهرية في وضعها الجديد أقدر على النهوض بهذا العبء وتزويد تلك البلاد اللازمة بحاجتها من الخبراء والفنيين ؛ لذا للأزهر الشريف من سمعة طيبة في هذه البلاد . وعلى ذلك ينبغي أن نخطط الجامعة الأزهرية سياستها على تخريج أطباء ومهندسين وتجاريين وزراعيين للعمل في الخارج نادية للرسالة العظيمة التي ينبغي أن ننهض بها .

وينبغي على الدولة مساعدة الراغبين في العمل في الخارج ، ووضع جميع التسهيلات لهم . وقد قامت الدولة في الآونة الأخيرة بتيسير خروج الراغبين في العمل الذين قد حصلوا على عقود للعمل ، وهذا عمل مشكور ولكنه ليس كل العمل المطلوب من الدولة ، فمن المستير على العمال الزراعيين أن يبحثوا لأنفسهم عن العمل في الخارج بل أنه من المستير حتى على المثقفين أن ينهضوا بذلك ، لذلك أقترح :

١ — إنشاء جهاز في الدولة يقوم بالاتصال بالدول التي تحتاج إلى أيدي عاملة وأن ينظم معها إيفاد القوى البشرية المصرية .

٢ — إنشاء شركات زراعية تختص بالعمل في الخارج ، يكون لها حق المساهمة مع شركات وطنية في إصلاح الأراضي وزراعتها .

تصدير الفنون والآداب :

كانت مصر من أهم البلاد المصدرة للمصحف الكريم والكتب الدينية والكتب المدرسية ، ولكن في السنوات الأخيرة ، نظرا لارتفاع أسعار الورق والطباعة قامت دول لمنافسة جمهورية مصر

العربية في ميدان طبع المصحف الشريف والكتب الدينية . من هذه الدول اليابان وتطبع وحدها حوالي ١٥ مليون مصحف في السنة ومنها هونج كونج ومنها اسرائيل للأسف الشديد .

وكانت مصر هي الدولة العربية الأولى في طبع الكتب المدرسية ولكن تآمت مطابع في لبنان وفي شمال أفريقية لطبع تلك الكتب دون استئذان أصحابها وقد ساعد على ذلك نقص الورق وارتفاع أثمانه ولإعادة طبع المصاحف بالجمهورية العربية ، ولتأمين عدم وجود أخطاء أو تحريف بها يقترح أن تشجع أقاليم مطبعة ضخمة في المنطقة الجمركية الحرة لتقوم بطبع المصاحف بعد مراجعتها في الجهات المختصة وتقوم بطبع الكتب الدينية والكتب المدرسية التي تحتاج إليها كل البلاد الناطقة باللغة العربية .

وتجد الأشرطة السينمائية رواجاً في البلاد العربية والبلاد الآسيوية والأفريقية ومن الممكن أن نجد لها سوقاً في كندا وأمريكا الجنوبية وكل البلاد التي بها جاليات عربية .

إننا أقدر الشعوب العربية على مخاطبة العاطفة الدينية في البلاد الإسلامية ، فسلو اهتمت السينما المصرية بإخراج أفلام دينية مستجدة رواجاً في أندونيسيا والباكستان والهند وفي كل بقاع الأرض التي ينتشر بها المسلمون . وأفكر أثناء زيارتي لأندونيسيا أن وجدت فيلم « بلال مؤذن الرسول » يعرض هناك وقد علمت أن عرضه استمر ستة أشهر كاملة .

وقد وجدت أسطوانات المطربين والمطربات المصريين منتشرة انتشاراً يثلج الصدر في كل بلاد آسيا ، ولكن هذه الأسطوانات لا تصدر من مصر للأسف الشديد ، بل تطبع في سنغافورة ولا نستفيد من عائد أسطوانات مطربتنا ومطربينا .

وان الحديث عن المطربين والمطربات يجرنا الى الحديث عن دورهم فى جلب عملات اجنبية لبلادنا ، ففريق انخافس قد طاف فى امريكا رعاو بملايين الدولارات . واظن ان مكانة مطربينا ومطرباتنا فى العالم العربى مكانة مرموقة . فلماذا لا يقوم هؤلاء المطربون والمطربات باحياء حفلات تحت اشراف الدولة لجلب العملات التى نبني عليها صرح كياننا ؟ .

انى اعتقد ان من الخير ان تقام الحفلات الاولى لاغنيات مطرباتنا ومطربينا فى عاصمة من العواصم العربية المتعطشة لفننا الغنائى من ان تقام هنا فى القاهرة ، فمثل هذا العمل سيزيد رصيدنا من العملات الحرة فى البنوك وسيكفنا من تنفيذ خطط التنمية .

والكتاب الادبى قادر على ان يكون موردا من موارد العملات الصعبة لو يسرنا له سبل انتشاره وهذا يمكن ان يأتى باقامة مهرجانات أدبية فى الدول العربية يحضرها كبار كتابنا وأن تباع كتبهم فى هذه المهرجانات وأن تحدد اسعار مرتفعة للكتب التى يوقع عليها كبار كتابنا .

تصدير الرياضة :

انتقال التعصب للأندية الرياضية من جمهورية مصر العربية الى كل ابلاد العربية تقريبا ، واعتقد انه لو اقيمت مباراة الكأس النهائية فى عاصمة من العواصم العربية ، فى الكويت مثلا ، فالإيراد الذى سنحصل عليه سيتفوق ما سنحصل عليه من إيراد اذا ما اقيمت هذه المباراة بيننا علما بأن ذلك الإيراد سيكون بعملة صعبة .

ومن الممكن ان تقام مباريات بين الزمالك والأهلى فى عواصم

أخرى ونرى هذا دعاية طيبة لنا واشباع رغبات اخواننا العرب المتعطشين لمثل هذه المباريات وعائد من العملات الأجنبية .

مراكب الفن :

ومن الممكن أن نخصص مركب لعرض منتجاتنا وآثارنا ونفوننا الشعبية وتطوف بموانئ الدول الأوروبية ، تنقل اليهم قطعة من وطننا ؛ ومثل هذه المراكب تجد عادة اقبالا من الاجانب ، اذا ما سبقتها دعاية كافية وهي قادرة على أن تغطي مصاريف رحلتها . واعادة فائض من العملات الأجنبية .

ومن الممكن أن تحمل هذه المراكب مندوبين وتجاربيين يقومون بإبرام العقود أثناء عرض منتجاتنا الوطنية .

المكاتب الخارجية :

من الملاحظ تفكك الصلة بين المكاتب التي تنشأ في الخارج لخدمة نشاط تجارى أو سياحى أو ثقافى ؛ نرى مدينة روما مثلا تجد مكتبا لشركة الطيران وآخر للسياحة وثالث للتجارة . لماذا لا ينشأ مكتب واحد قادر لخدمة أوجه نشاطنا المختلفة ، مكتب يليق بنا يقوم بخدمة شركات الطيران والسياحة والتجارة والثقافة ؟ .
اننا لم فعلنا ذلك لخفضنا من تكاليف المكاتب المختلفة ولأقمنا مكتبا يعنى نهضتنا الحديثة بكل معنى الكلمة والامكننا ان نزوده بمسؤول قادر على النهوض بهذه الاعباء التي تعود علينا بالخير فى النهاية .

قوافل الصداقة :

الفنون والآداب هي الصلة التي تربطنا بالبلاد العربية ؛ دون أن تشوبها سائبة ، لذلك أقترح أن نعد قوافل الصداقة من المطربين والمطربات والأدباء والفنانين والفرق الشعبية وأن تطوف تلك القوافل بالدول العربية تعرض آخر ما أنتجناه من أفلام ومسرحيات وكتب أدبية وتحبى حفلات غنائية .

استيراد البشر :

انى أشجع كل الوان التصدير ، لأن التصدير معناه جلب عملات وادعو الى التضييق فى الاستيراد . . الى استيراد ما تدعو اليه الضرورة القصوى لأن الاستيراد معناه خروج عملات او محاصيل كان من الممكن بيعها والحصول على عملات اجنبية عوضا عنها ، ولا فرق بين استيراد من كتلة غربية او كتلة شرقية . فالاستيراد فى كل صورته عبء على الميزانية . وعلى الرغم من ذلك فهناك استيراد واحد احبذه وادعو اليه وأطلب المزيد منه ، ألا وهو استيراد البشر ؛ لغى ورود السياح الى بلادنا دخول لعملات اجنبية نحن فى اشد الحاجة اليها .

ليس امامنا لنستطيع ان نفقد خططنا الا ان نصدر ونصدر ونصدر وان نعاون كل العاملين فى ميدان التصدير ، فهم يؤدون للبلاد خدمة جليلة ، وانى ادعو ان نفتح ابواب التصدير للجميع لنحقق امدادنا وان يكون شعارنا : التصدير لمن استطاع اليه سبيلا .

الفهرست

صفحة	
٣	منهقة
١٢	معقول
٢٠	أرملة من فلسطين
٤٥	كثبك الموسيقى
٦٤	الجوع
٧٨	الغيب
٨٤	فاجرة
١٥٥	واحة الخيال
١٦٨	تصدير البشر والفنون والآداب

مكتبة مصير
٣ شارع كامل صدقي - البغداد



الشمس ٢٠١٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

To: www.al-mostafa.com